وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أكلي محند أولحاج – البويرة –

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: التاريخ

عنوان المذكرة:

القوى المحلية وموقفها من إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية "آل القاضي وبني عباس أنموذجا" (1510-1587م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث

إعداد الطالبتين:

- أمال جعدي
- أمينة نجار

إشراف الأستاذ:

د/ شدري معمر رشيدة

السنة الجامعية: 1439/1438هـ

2017م-2018م

الشكر والتقدير

بسم الله الرحمان الرحيم.

" ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التّي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصّالحين".

النمل الآية 19.

نتوجّه بشكرنا الجزيل أولا إلى الله عزّ وجل لمنه وكرمه، أن أمدنا نعمة العقل والصحّة والعافية.

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتورة شدري معمر رشيدة، التي تفضلت بإشرافها على هذا العمل فجزاها الله عنا كل خير فلها منا كل التقدير والاحترام.

وأتوجه لشكر كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل ونخص بالذكر أساتذة قسم الكلية للتاريخ. وكل الأصدقاء والزملاء.

إهـــــــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من قال عنهما سبحانه وتعالى:" وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا "

إلى من سهر الليالي من أجلي، وذلّل الصّعاب من حولي ليصنع لي جسر الأمل والحياة والدي ووالدتي حفضهما الله لي وأدامهما تاجا فوق رأسي

إلى إخوتي وأخواتي وكل أفراد أسرتي خاصة ابنت خالتي حفضهم الله

إلى زوجي الذي ساندني في إتمام هذا العمل.

إلى صديقاتي اللّواتي تقاسمت معهم المشوار الدراسي.

أمينـــــــــة

إهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا يطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله إلى من بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الأمة

إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى من كلله الله بالهيبة والوقار

إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد جان قطافها بعد طول الانتظار

وستبقى كلمات نجوم اهتدي بها اليوم وفي الغد

إلى الأبد والدي العزيز "فاتح"

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى كل من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة "مداح زهرة"

إلى كل من بهم أكبر وعليه أعتمد –إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي إلى من بوجودهما أكتسب القوة ومحبة لا حدود لها (إيمان، وزوجها حميد، وبناتها رودينا ورنيم وإلى فاطمة وابنها عبد الرحمان وأمينة وابنتها آلاء وإلى الصغيرتين أسماء وسعاد)

إلى الأخوات التي لم تلدهم أمي –إلى من تحلو بالاخاء وتتميزوا بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت إلى من كانوا معي على طريق النجاح (جميلة، أمين محمد يزيد، دليلة، رتيبة، دليلة، الجوهر).

إلى زميلتي المشاركة في هذا العمل "أمينة" لها الشكر الخاص"

أمال

قائمة الاختصارات

الاختصار	المقصود به
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
تع	تعريب
تص	تصدير
ج	جزء
ص	صفحة
ط	طبعة
م	ميلادي
مر	مراجعة
هـ	هجري

مقدمة

عرف المغرب الأوسط خلال القرن السادس عشر تكالب أوروبي على سواحله،التي أصبحت أهم موانئه محتلة من طرف إسبانيا ، وذلك لضعف وحدته السياسية والعسكرية، فكثرت الاضطرابات في صفوفه، وهذا ما أعقب عنه سهولة احتلال الموانئه الساحلية، كميناء المرسى الكبير 1505م، ووهران 1509م وبجاية وعنابة سنة1510م .

وفي ضل وجود هذه الاضطرابات وعجز السلطة الحاكمة عن تولي أمور الحكم، قام شيوخ وقادة القبائل، من تولوا أمور تسيير البلاد وحمايتها في حال الهجوم الإسباني عليها، ومن بين هذه القوى العسكرية التي تولت صد هجمات الاسبانيين أسرة آل القاضي وبني العباس التي كانتا تشكلان قوة عسكرية وسياسة مهمة في منطقة القبائل الكبرى والصغرى.

لكن رغم وجود هاتين القوتين المحليتين بالجزائر إلاّ أّنه لم تستطيعا مواجهة الخطر الإسباني الذي كان يهدد الجزائر لوحدهما، وذلك لأّن كل منهما كانت تحارب لوحدها,

وهذا ما أدى بسكان وأعيان مدينة الجزائر، يطلبون يد العون من الأخوة بربروسا الذين نشطوا في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وعلا صيتهم نتيجة لما قّدموه من مساعدات للمسلمين المضطهدين في الأندلس بعد سقوط غرناطة 1492م.

ومن خلال بحثنا هذا والموسوم **ب "موقف القوى المحلية من إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية (آل القاضي وبني عباس نموذجا)"** والذي حددنا له الإطار الزماني للدراسة من سنة (1512-1587م)، والذي أردنا من خلاله تسليط الضوء على موقف القوى المحلية(آل القاضي وبني عباس) من إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، باعتبار أن هذه المرحلة من تاريخ الجزائر عرفت أحداث هامة، من تشتت الوحدة السياسة للجزائر، والغزو الإسباني لسواحلها، بالإضافة إلى بروز نشاط القوى المحلية لمدينة الجزائر، والتي كانت تعرف بالعداء والتنافر فيما بينها خاصة نموذج دراستنا آل القاضي وبني العباس، وهم من الأسر العريقة ذات الأصل الشريف، بالإضافة إلى طلب سكان مدينة الجزائر في هذه الفترة العون

من طرف البحارة بربروس، والذي أعقب عنه دخول الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية سنة 1519م.

وعليه فإنّ أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع تمثلت في:

_ الرغبة في معرفة أهم التطورات التي طرأت على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية بالجزائر قبل وبعد الإلحاق الرسمي لمدينة الجزائر بالدولة العثمانية، وموقف القوى المحلية(آل القاضي وبني عباس) من الوجود العثماني.

_ رغبتنا في التّعرف على القوى المحلية (آل القاضي وبني عباس) التي ظهرت في فترة شتات وضعف الجزائر، والتي لعبت دورا مهما في تسيير أمور البلاد ، لما تميّزت به من صفات وخصائص لم تمتلكها باقي العائلات.

_ بالإضافة إلى رغبتنا في معرفة أهم الظروف والأسباب التي جعلت من القوى المحلية تارة تتحالف مع الدولة العثمانية، وتارة أخرى تعلن العصيان والتمرد، وتتحول بعدها لألد أعداء السلطة العثمانية.

_ محاولتنا معرفة سبب عداء آل القاضي مع بني عباس، والظروف التي ساعدت كل منهما لتأسيس إمارة أو سلطنة خاصة بهم، يحسب لها ألف حساب ابتداء من سنة 1510م.

_ ولأن المصادر والمراجع في هذه الفترة لم تتحدّث بكثرة عن هته الأسر، ولم تتعمق في تفاصيل الأحداث .

_ رغبتنا الشخصية في دراسة الدور الذي لعبته أسرة آل القاضي وبني العباس في هذه الفترة، وكذلك معرفة طبيعة العلاقة التي جمعتهما بالسلطة العثمانية، باعتباره موضوع لم يتناول دراسات كثير.

وعليه فإنّ الإشكالية الأساسية لهذه الدراسة قد تركزت حول تغير موقف القوى المحلية لآل القاضي وبني عباس من إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، قبل الإلحاق الرسمي للجزائر بالدولة العثمانية وبعده، وأهم العوامل المتحكمة فيه.

وللإلمام بجميع جوانب الموضوع كان لا بد من طرح مجموعة من التساؤلات الفرعية والتي سنحاول الإجابة عليها من خلال هذه الدراسة:

- ما هي ظروف استدعاء الإخوة بربروس؟، وماذا حقّقت مدينة الجزائر من مجيئهم؟
- ما هي ظروف إلحاق الجزائر بالدّولة العثمانية؟.
- ما هي مميزات القوى المحلية (بني العباس وآل القاضي)؟، وما هو الدّور الذي لعبته في ظل الوجود الإسباني؟.
- ما هي العوامل والأسباب التي جعلت من القوى المحلية تكون تارة عونا وسندا للسلطة العثمانية وتارة أخرى تكون من ألدّ أعدائها؟.
- ما هي السياسة التي اتبعتها السلطة العثمانية لصد ثورات القبائل المحلية في منطقة القبائل الكبرى والصغرى؟.
- كيف كان مصير إمارة كوكو، وقلعة بني عباس إبان بداية القرن السابع عشر والثامن عشر ميلادي؟.
- بماذا تميّزت علاقة السلطة العثمانية و السلطات المحلية لآل القاضي وبني العباس؟.
- ولتقديم عرض ودراسة لكل هذه العناصر تم الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع ، التي عالجت تفاصيل هذا الموضوع كل بطريقتها الخاصة ومن أهّمها نذكر:
- كتاب غزوات عروج وخير الدين لمؤلف مجهول: والذي يعتبر من أهم المصادر، الذي تكلّم عن تاريخ أحداث هذه الفترة والتي اصطحبت بمجيء الإخوة عروج وخير الدين بربروس، وقد احتوى أيضا على أهم الأحداث التي جرت عقب دخول الإخوة بربروس لمدينة الجزائر وبعد إلحاقها بالدولة العثمانية.

- مذكرات خير الدين بربروس ترجمة محمد دراج وهو مصدر يروي الأحداث التي وقعت للأخوين بربروس قبل دخولهم مدينة الجزائر وبعده بلسان خير الدين، متطرقا لأهم وأغلب الأحداث التي جرت في تلك الفترة خاصة سيرة نشاطهم في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ودخولهم مدينة الجزائر وما صادفهم من أحداث آنذاك.
- كتاب إفريقيا ج2 لصاحبه مارمول كربخال، وهو مصدر أجنبي معرب تناول الطبيعة الجغرافية والسياسية لمدينة الجزائر وتطرق لأهم الأحداث التي جرة في الجزائر خاصة ما تعلق بمنطقة الزواوة.
- كتاب وصف إفريقيا لصاحبه الحسن الوزان، حيث تكمن أهمية هذا الكتاب في الرحلات التي قام بها المؤلف إلى شمال إفريقيا، والدراسة التي قدمها عن مختلف فحوص وأرياض بلدان المغرب الإسلامي.

أما فيما تعلّق بأهم المراجع التي ساعدتني في هذه الدراسة نذكر:

- كتاب حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792 لصاحبه أحمد توفيق المدني: الذي يعتبر مرجع شامل لأهم الأحداث السياسية والعسكرية التي جرت خلال العصر الحديث في الجزائر.
- كتاب قلعة بنو جيت لمؤلفه يوسف بنو جيت: وقد تحدّث هذا المرجع بالتفصيل عن الأحداث التي جرت في منطقة القبائل الكبرى، خاصة ما تعلّق بسلطنة بني عباس، من تحافهم وتمردهم على السلطة العثمانية وأهم العوامل التي تحكمت في تغيير مجرى العلاقة بين الطرفين التي تميّزت بعدم الاستقرار.
- كتاب تاريخ مدينة الجزائر خلال العهد التركي 1514-1830 لصاحبه صالح عباد، حيث تكلم عن الأوضاع السائدة في مدينة الجزائر، كما ذكر تقريبا كل ما تعلّق بالقبائل المحلية من صراعاتهم وتحالفاتهم بالسلطة العثمانية.

بالإضافة إلى المراجع باللغة الفرنسية ونخص بالذكر:

S.A Boulifa le Djurdjura a travers و les époques militaires de la grande kabilie l' histoire depuis l'antiquité jusqu a 1830 .

اللّذين يعتبران من أهم المراجع التي تكلّمت بالتفصيل على منطقة زواوة وبالأخص القبائل الكبرى والصغرى.

وككل الباحثين كنا قد تعرّضنا لجملة من الصّعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذه الدراسة ولعلّ أبرزها:

_ شح المادة العلمية التي تتكلم حول موضوع الدراسة، وصعوبة الوصول للبعض منها.

_ تضارب الأحداث واختلاف تداول التواريخ من مصدر لآخر.

_ تكلم بعض المصادر والمراجع بإسهاب أو بشح حول مجرى الأحداث.

_ أغلب مراجع ومصادر موضوع الدراسة كان باللغة الفرنسية التي أخذت منا وقتا طويلا لإقتباس المعلومات منها.

ولدراسة هذا الموضوع والإجابة على الإشكالية المطروحة ومختلف التساؤلات الفرعية، قمنا بإتّباع المنهج التّاريخي الوصفي الذي ساعدنا على عرض الحقائق التّاريخية والذي تخلّله المنهج التحليلي من خلال تحليل بعض الوثائق والوقائع والأحداث حسب ما تقتضيه الضرورة.

ولإعطاء هذه التساؤلات نصيبها من البحث والتحري ارتأينا أن نقسم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

ولإعطاء هذه التساؤلات نصيبا من البحث والتحري ارتأينا أن نقسم هذا البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

فتناولنا في الفصل التمهيدي: أوضاع المغرب الأوسط، وما كان عليه من الضعف والشتات بنيته السياسية، وهو السبب الذي جعل أغلب سواحله تتعرض للاحتلال الإسباني، الذي ما عرف الخلاص منه إلاّ بعد الاستعانة بالإخوة بربروس، الذين لبوا الطلب وكان لهم الفضل في إخراج العدو الإسباني من السواحل الجزائرية والحد من مد نفوذه، كما أعب عنه إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519م.

الفصل الأّول: وقد تناولنا فيه أصل ونسب كل من آل القاضي وبني عباس،والأوضاع العامة لكل من إمارة كوكو وقلعة بني عباس، التي مهدت لظهور إمارة كوكو وقلعة بني عباس .

يليه الفصل الثاني بعنوان: موقف آل القاضي بالسلطة العثمانية قبل إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية وبعده، بثلاثة عناوين: العنوان الأول تمثل في دراسة علاقة آل القاضي بالدولة العثمانية قبل إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، والعنوان الثاني تحدث عن علاقة آل القاضي بعد إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، وآخر عنصر كان بعنوان انقسام عائلة أولقاضي إلى بوختوش.

أما الفصل الثالث فقد خصصناه للحديث عن علاقة بني العباس بالسلطة العثمانية، قمنا بتقسيمه إلى عنوانين تناولنا في العنوان الأّول علاقة التعاون بين العثمانيين وبني العباس، أما العنوان الثاني فتناولنا فيه مصير إمارة بني عباس في ظل الحكم العثماني.

الفصل التمهيدي

أوضاع الجزائر قبل الدخول العثماني

- **الحالة السياسية للمغرب الأوسط قبل دخوله تحت لواء الدولة العثمانية.**
- **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية.**
- **ظهور الإخوة بربروس في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط سنة 1510م.**
- **تحرير السواحل الجزائرية.**
- **إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519م.**

I. أوضاع الجزائر قبل الدخول العثماني:

1-الحالة السياسية للمغرب الأوسط قبل دخوله تحت لواء الدولة العثمانية:

تأزمت أوضاع المغرب الإسلامي إبان مطلع القرن السادس عشر ميلادي أي بعد سقوط دولة الموحدين، مما أدّى بالمغرب الإسلامي إلى فقدان وحدته السياسية وانقسامه إلى ثلاثة دويلات تقاسمت إرث دولة الموحدين، فظهرت دولة الحفصيين بتونس، يحكمون المغرب الأدنى من إقليم طرابلس الغرب إلى نواحي دلس والدولة الزيانية بتلمسان يسيطرون على المغرب الأوسط من إقليم مدينة الجزائر وثالثتها الدولة المرينية تتولى حكم المغرب الأقصى من غرب الملوية إلى منطقة السوس[1]

وقد عجزت كل هذه الكيانات السياسية الوقوف في وجه الغزو المسيحي على شواطئها[2] وازداد الضغط الاسباني على السواحل واستبداد القبائل البدوية بالدواخل وتحولها إلى أحلاف عشائرية[3] وما يهمنا في هذا الإطار الجيوسياسي هو المغرب الأوسط (الجزائر) الذّي كثرت فيه الفتن بسبب التنازع على الحكم، وقد وصل هذا التأزم في الأوضاع في المنتصف الثاني من القرن 15م إلى درجة عجز الزيانيين بتلمسان حماية المناطق الموالية لهم من الهجومين الوطاسي والاسباني من الجهتين، وهذا ما جعل بالقبائل البربرية هذه الأوضاع لاسترجاع استقلالها وبالتالي سمح هذا التشتت على التحرش الأيبيري الذّي ظهر كرد فعل على حركة التضامن الذّي أبداها المغاربة مع الأندلسين الذين أصبحوا بدورهم جنودا على طول السواحل[4] أنظر: (الملحق رقم01 ص97).

1- ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية ،الجزائر تونس طرابلس الغرب، ط2،البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر، ص 11.

2- رشيدة شدري معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671-1830)، رسالة ماجستار، جامعة الجزائر، تخصص تاريخ حديث، 2005-2006، ص67.

3- ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص11.

4- رشيدة شدري معمر، مرجع سابق، ص67.

2-الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية خلال القرن 16م:

إن الأوضاع التي شهدتها بلاد المغرب الإسلامي في خضم ضعف دولة بني زيان والذي أثر بشكل كبير على الجزائر من خلال انقسامها إلى إمارات صغيرة متناحرة همها التناحر مع بعضها البعض، وذلك طيلة الفترة الممتدة ما بين القرن الخامس عشر ميلادي وبداية القرن السادس عشر ميلادي[1]، وفي ظل هذا التوتر والفوضى السائدة بالمغرب الإسلامي ونخص الذكر أوضاع المغرب الأوسط، الذي سهل على إسبانيا توجيه حملاتها نحو سواحله مستغلة بذلك فجوة الضعف السائد[2].

وفي ظل هذا الانشقاق الداخلي، ورغبة الإسبان في الوصول إلى سواحل المتوسط، الذين كانت تدفعهم الروح الصليبية، التي استمدوا مبرراتها من مواصلة عملية حروب الاسترداد التي قضت على الحكم الإسلامي بالأندلس مع سقوط غرناطة* 1492م[3]، والتي كانت آخر معقل للمسلمين في اسبانيا، حيث كان لمحاكم التفتيش** دورا في اضطهادهم وطردهم إلى بلدان شمال إفريقيا، فتعقبهم الإسبان وفي ظلّ هذه الأحداث استغلت اسبانيا

1- صارة العيدودي نبيل عبايدية، النظام العسكري العثماني في الجزائر (1518-1830م)، قسم العلوم الإنسانية جامعة التبسة، 2007-2008 ، ص 12.

2- وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر،حي السعيد حمدين، الجزائر، 2006، ص34.

3- محمد عبد الله عودة، وإبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث،الأهلية للنشر والتوزيع، ص 12.

* **الأرناؤوط:** في التركية أوناؤد، وبلادهم ألبانيا التي فيها نحو المليون نسمة، منهم الثلث مسلمون، عاصمتها سكوتاري أشقودرة- مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، إعتن بتصحيحه وتع حواشيه، نور الدين عبد القادر، طبع على ذمة المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية لصالحهما رودوس قدور بن موراد، بنهج مصطفى إسماعيل عدد 1، الجزائر، 1353-1934،ص20.

** **محاكم التفتيش:** (Inquisitio) اصطلاح مشتق من كلمة لاتينية هي (inquirere) بمعنى يبحث- يتقصى- يفتش. ولقد أسسها البابا لوسيوع الثالث ثم أنوسنت الثالث، وخاصة في المجتمع اللاتيراني الرابع سنة 1215م، واستمرت في قمع الفكر المحالف بالحديد والّنار والإرهاب عدة قرون.
وفي إسبانيا بدأت محاكم التفتيش نشاطها سنة 1478م بايعاز من الملكين فردناند وإيزبيلا، وبتأييد من البابا سكتوس الرابع- إسحاق عبيد، محاكم التفتيش ونشأتها ونشاطها، ط1، دار المعارف، 1978، ص39.

الانشقاق والتجزؤ الحاصل في المغرب الإسلامي لتحقيق مآربها الاستعمارية بعد أن أتمت الزواج السياسي بين[1] ملكة قشتالة إيزبيلا *وملك أراقون فرديناند**[2]، والذي عرف بزواج المصلحة الذي كان مجسدا للحقد الصليبي على المسلمين خاصة بلاد المغرب وأنهم كانوا الفاتحين لها[3]، بحيث تركت الملكة "إيزبيلا" بعد وفاتها وصّية تدعو فيها إلى ضرورة احتلال المغرب ومواصلة نشر المسيحية[4]، وهذا ما أدى بإسبانيا ببعث الجاسوس لورين ثودي باديبا إلى مملكة تلمسان في عهد السلطان عبد اللّه الثاني كوفد استطلاعي لدراسة أحوالها وأوضاعها الجيوسياسية والعسكرية والسياسية، لتتسهل عليها الأمور في عملية الاحتلال للسواحل الجزائرية التي كانت بمثابة تكملة لحروب الاسترداد[5].

لكن وقبل شروع إسبانيا في عملية الغزو اصطدمت مع مطامع البرتغاليين في الغزو أيضا، الأمر الذي جعل البابا ألكسندر السادس يعقد بينهما اتفاقية طورديسيلاس***

1- محمد عبد الله عودة، مرجع سابق، ص12.

* **إيزبيلا** الأولى الكاثوليكية: وهي ملكة قشتالة، من مواليد (1451-1504م) تزوجت من فرديناند ملك أراغون. وهي الوحدة التي هدفت إلى القضاء على المملكة المغربية في غرناطة، وعملت على إقامة محاكم التفتيش وشجّعتها لإبادة المسلمين ودعمت وزيرها خمينيس لادارتها- بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1481980، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980م، ص ص 44،45.

** **فرديناند** الخامس الكاثوليكي من مواليد سوز (1452-1516م) تولى الملك في سنة 1474م اشتهر بأنه سياسي عنيد وجريئ، تزوج بإزبيلا ملكة قشتالة، ووحد تقريبا كل شبه الجزيرة الأيبيرية، مما ساعده على تدمير قدرة المغرب الاسلامي والقضاء على مملكة غرناطة سنة 1492م- نفسه، ص44.

2- نفسه، ص44.

3- محمد عبد الله عودة، مرجع سابق، ص12.

4- جلال يحيى، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر،دار الكتاب الحديث، 2010، ص 76.

5- عبد الرحمان محمد الجيلالي تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص 278.

*** **معاهدة توردیسیلاس Tordesillas 1494م:** هي إتفاقية تم من خلالها الإتفاق على أن يكون هناك خط وهمي من نقطة تبتعد 370 فرسخا من جزر الرأس الأخضر تكون الاكتشافات التي تظهر في الشرق من نصيب أسبانيا والاكتشافات التي تظهر في الشرق من نصيب البرتغال، ونتيجة لهذا فقد أخذت البرتغال البرازيل- عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث، من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، 1999م، ص65.

1494م ومعاهدة فيلافرانكا التي تم بمقتضاها جعل مستعمرات إسبانيا في شرق الجزائر وتونس وطرابلس[1]. وقد قام الاسبان أول الأمر باحتلال:

2-1- احتلال المرسى الكبير سنة 1505م:

لقد صمم فرديناند على تنفيذ وصية زوجته إزبيلا[2]، في احتلال شمال إفريقيا، ونظرا لفراغ خزينة الدولة من المال تولت الكنيسة هذه المهمة وعلى رأسها الكاردينال إكزيمينس، وبهذا اجتمعت السلطات الزمانية والروحية على سواحل المغرب الأوسط.

وبالفعل فقد جهز الكاردينال إكسيمانس سنة 1505م أسطولا مكونا من 134 سفينة على متنها 500 محارب تحت إمرة القائد ديقو فرناندیز ويقوده راميوندي قرطبة[3]، أبحرت الحملة الإسبانية من مالقة يوم الأربعاء 29 أوت 1505م ووصلت يوم 11سبتمبر[4]، إلى المرسى الكبير الذي يعتبر من أهم الموانئ على ساحل المغرب الأوسط، وقد قام الجواسيس الإسبان بدراسة المواقع الإستراتيجية فكانت أوِل محطة للاحتلال الاسباني في المغرب الجزائري يعتبر ميناء المرسى الكبير من أهم الموانئ على ساحل المغرب الأوسط وقد قام الجواسيس الإسبان بدراسة المواقع الإستراتيجية فكانت أول محطة للاحتلال الاسباني في المغرب الأوسط (الجزائر)[5] .

1- عبد العزيز، مرجع سابق، ص ص65-67.

2- زغموش كاميليا، قبائل الغرب الجزائري بين الإحتلال الإسباني والسلطة العثمانية، (1509-1792)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2014/2013، ص30.

3- أسماء بلالي، التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10ه/16م قراءة في الدوافع والنتائج، مجلة الروافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد الثاني، 2007، ص ص42،43.

4- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، دار البعث، قسنطينة- الجزائر، ص 96.

5- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ج2، تر عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت لبنان، 1983، ص 31.

ففي الوقت الذي تفرق فيه المسلمون الذين جاءوا للّدفاع عن المرسى نظرا لقلة المئونة، فلم يبقى منهم سوى580 مجاهد لحمايته، فلم يتمكنوا من منع الإسبان من النزول إلى البر رغم المقاومة العنيفة التي دامت ثلاثة أيام، واستشهد قائد الحامية، وتمكن الإسبان من احتلال المرسى الكبير في 23 أكتوبر 1505م بعد حصار دام خمسين يوما، ودخلوا المدينة وعاثوا فيها سلبا ونهبا[1].

2-2- إحتلال وهران سنة 1509م:

بعد الاستيلاء على المرسى الكبير، ولتوسيع نطاق قاعدتهم، توجهت أنظار القادة الإسبان إلى وهران، كون وهران تحضى بموقع جغرافي إستراتيجي أكسبها أهمية بالغة، فجهز بيدرو نفارو[2] حملة مكونة من 33 مركبا حربيا و51 زورقا صغيرا على متنها 1500 جنديا، أبحرت الحملة من قرطاجنة يوم الأربعاء 15 ماي 1509م ووصلت يوم الجمعة 17 ماي[3]، فانهزم الأسطول بسبب أخطاء في العمل، ثم أعاد الملك الكّرة بعد شهور من الاستيلاء على المدينة[4]، وكان النصر للإسبان بسبب تفّوقهم من حيث العدّة والعتاد[5].

2-3- الاستيلاء على بحاية* سنة 1510م:

أخذت إسبانيا المسلحة بالحقد المسيحي والّدهاء السياسي بعد احتلالها المرسى الالكبير ووهران تستولي على سواحل المغرب الأوسط، وجّهت أنظارها هذه المرة إلى الناحية الشرقية،

1- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تقد وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص488.

2- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص 96.

3- عبد الرحمان الجيلالي،ج2...، ص203.

4- حسن الوزان، مصدر سابق، ص31.

5- زغموش كاميليا، مرجع سابق، ص34.

* **بجاية:** هي مدينة عتيقة بناها الرومان في منحدر جبل شاهق على ساحل البحر المتوسط فيها جوامع ومدارس بكثرة وفيها طلبة وأساتذة الفقه والعلوم وكان أهلها على قدر عضيم من الغنى- حسن الوزان، مصدر سابق، ص50- يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، شركة دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2004، ص ص48،49.

فاحتلت بجاية العاصمة الثانية للحفصيين في جانفي 1510م[1]، وقاموا بتدميرها ونهب ممتلكاتها[2]، وباحتلال مدينة بجاية دقّ ناقوس الخطر في شمال إفريقيا، إذ توجه الإسبان بعدها إلى عنابة في نفس السنة، وتركوا بها حامية لحراستها، فوقف فيه بني حفص وبني زيان الذين قضى عليهم الشقاق عاجزين على ردّ الخطر الإسباني الذي ينتقل من إنتصار إلى انتصار أكبر منه[3]، ممّا جعل كل من مدينة تنس ودلس وشرشال والجزائر ومستغانم تعلن تبعيتها للسيادة الإسبانية[4]، فعاهدتهم على دفع الضريبة خوفا من المصير المأساوي الذّي لقته مدينة وهران وبجاية من قبل[5].

2-4- احتلال مرسى هنين 1531م:

بعد الاستيلاء على بجاية وعنابة احتل الاسبان مرسى هنين الساحلي بتلمسان يوم 08 سبتمبر 1531م، بقوة أحد عشر سفينة حربية وناقلتين للجنود إضافة إلى فرقة وهران التي ضمت مائتين وخمسين جندي، يقودهم القائد الإسباني دون ألفارو دوبازان، فخربو المدينة التي كانت خيالية من حاميتها، وكان هدفهم من احتلاله تطويق مدينة الجزائر غربا وإخضاع ملك تلمسان مولاي عبد الله محمد السابع (1524-1542م) إلى سلطانهم. إلا أنهم لم يستطيعوا أن يمكثوا فيها مدة طويلة، حيث غادروها عام 1534م، نتيجة لعدم وصول الدعم إليهم من إسبانيا[6].

1- أسماء بلالي، مرجع سابق، ص45.
2- عقيل لطف الله نمير، تاريخ الجزائر الحديث، منشورات جامعة دمشق، ص39.
3- أسماء بلالي، مرجع سابق، ص45.
4- عقيل لطف الله نمير، مرجع سابق، ص39.
5- أسماء بلالي، مرجع سابق، ص45.
6- نفسه، ص55.

3-ظهور الإخوة بربروس في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط سنة 1510م:

تنازع أمراء الجزائر على العرش في أواخر عهد الدولة الزيانية بسبب الضّعف والانحطاط الذي شهدته، فلم تعد تملك هذه الدولة من النّفوذ إلاّ تلمسان وبعض أجزاء المناطق الغربية، فعجزت عن مقاومة الغزاة، الأمر الذي أجبرها على عقد الصلح مع الإسبان سنة 1512م، واعترفت باستيلاء الإسبان على عدّة موانئ في غرب الجزائر، وبذلك استغلت إسبانيا كل مقاطعة من تراب المغرب الأوسط بالسلطة، فبلاد القبائل الكبرى كانت تحت حكم زاوية بن القاضي، ومدينة الجزائر تحت نفوذ بني العباس، وهذا ما شجّع الإسبان على احتلال المرسى الكبير مدينة وهران[1].

وقد ازداد النهب والاستبداد الأيبيري في الشواطئ الجزائرية غربا حتى طرابلس شرقا[2]، الأمر الذي ضيق الخناق على سكانها وزاد من معاناتهم[3].

وأمام هذه الأوضاع لم يجد سكان الجزائر وسيلة إلا الاستنجاد بالإخوة الأتراك المسلمين عروج وخير الدين[4] أنظر:(الملحق رقم 02 ص98)، نظرا للروابط الدينية المشتركة، وكان الأخوان بحارين ماهرين من خيرة البحارة الشجعان، وإليهما يرجع الفضل في تأسيس دولة الجزائر[5].

1- عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، القبة الجزائر، 2002، ص88.

2- شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ليبيا تونس الجزائر المغرب، ط1، مكتبة أنجلو المصرية، 1977، ص 95.

3- سيف الدين الكاتب وآخرون، أطلس تاريخ الحضارات،التاريخ الحديث للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004، ص77.

4- عمار عمورة، مرجع سابق، ص88.

5- عيسى الحسن، الدولة العثمانية، عوامل البناء وأسباب الانهيار، ط1، دار الأهلة للنشر والتوزيع، بيروت، 2009، ص142.

***بربروس:** هو لقب أسرة يعتقد أنّها من أصول تركية عملت في البحر خلال القرن السادس عشر ميلادي تعني ذو اللحية الحمراء أطلقه الإفرنج على مؤسس الأسرة، وهو الجندي الذي اتصلت سيرتهم بالجهاد ضد الإفرنجة- مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ص72.

والمعروف عند المؤرخين أن البحارة وعلى رأسهم بربروسا*، لم يكن نشاطهم بإيعاز من السلطان العثماني، إنّما كانوا أحرارا ينشطون في البحر لحسابهم الخاص، ولكن إسلامهم المتين هو الذي حتم عليهم الجهاد البحري لإنقاذ المسلمين المضطهدين في الأندلس، ولإفتكاك بعض الموانئ المغربية التي كانت قد سقطت في قبضة الإسبانيين. وإنّما دخلوا إلى شرقي الحوض المتوسط مع مستهل القرن السادس عشر ولو أنّهم كانوا تابعين للسلطان العثماني، كاد قد زودهم هذا الأخير بأسطول قوي، ولكان يتتّبع نشاطهم في كل مكان، ومعلوم أن أيّا من هذين الأمرين لم يتم[1].

كما يمكن القول أنّ الأتراك هم أول من قدموا إلى القسطنطنية أين استطاعوا تدعيم وجودهم شرق أوربا، ثم استطاعوا السيطرة على بلاد المشرق العربي واستطاعوا بذلك اكتساب وتقدير الشعوب الإسلامية، وفي عهد سليمان القانوني** توغل الأتراك في شرق أوربا عبر نهر الدانوب وصولا إلى غرب البحر الأبيض المتوسط، لكن الأخوان بربروسا قد سبقا العثمانيين في الوصول إلى الحوض الغربي للمتوسط[2].

وقد نشأ الأخوان بربروس في شرق المتوسط بجزيرة مديلي جنوب اليونان[3]، من أم أندلسية كان لها الأثر على أولادها في تحويل نشاطهما شطر الأندلس، فقد كانت تئن من

1- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق وتع وتح، محمد العربي الزبيري، سلسلة التراث، ص69.

****سليمان القانوني:** خلفه والده في عرش السلطة العثمانية وهو عاشر السلاطين كانت فترة حكمه من(1520-1566م)، شهدت خلالها الدولة أزهى فتراتها، فقد سمي عصره بالعصر الذهبي، سن قوانين الدولة في هيئات خاصة، ولذلك لقب بالقانوني، واشتهر عند الأوروبيين بالعظيم، تميز بالحنكة السياسية والعسكرية قاد الفتوحات العثمانية في أوروبا وفتح رودوس وبلغراد والمجر ووصلت جيوشه على حدود فينا في أقصى غرب أوروبا، فلم يشهد التاريخ العثماني أعظم فتوحاته التيو قام بها هو، كما حارب الصفويين وفتح عدة مدن عربية، توفي في إحدى غزواته في أوروبا عند حصاره لسكودر سنة 1566م قاد 13 غزوة كبرى تقلد السلطنة لمدة 47 سنة، توفي في سبتمبر 1566. فريدون أمجاد، سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، تر جمال فاروق، أحمد كمال، ط2، دار النيل للنشر والتوزيع، مصر، 2015م، ص51.

2- أنريه ريمون،المدن العربية الكبرى في العهد العثماني، تر لطيف فرج، ط1 ، دار الأهلة للّشر والتوزيع، بيروت، 2009م، ص142.

3- صالح العقاد، مرجع سابق، ص18.

بطش الإسبان والبرتغاليين، وكان لعروج وخير الدين أخوان مجاهدان هم إسحاق وإلياس ووالدهما يعقوب بن يوسف من بقايا الفاتحين المسلمين الأتراك[1].

4-تحرير السواحل الجزائرية:

إن احتلال الإسبان للمرسى الكبير ووهران، وتهديدها مدينة الجزائر بني مزغنة، فاستولوا بذلك على أكبر الجزر الواقعة تجاهها، وجعلوا فيها حصنا يضع البلدة تحت رحمته، حيث أخذوا يوالون غاراتهم قاصدين تلمسان، فكان المغرب العربي كافة يسقط تحت ضربات الاحتلال الاسباني، لو لم يتدخل الأخوين بربروسة (بابا عروج وخير الدين) اللذين عملا على على إنقاص مهاجري الأندلس*، الذين كانوا يأتون بهم إلى أرض المغرب، فوقعت بينهم وبين الإسبان وقائع ذاع صيتها في البحر المتوسط، وأخذت وفود الجزائريين تفتخر بالبحارين طالبة منهما النجدة والإعانة على دفع الخطر الأجنبي على سواحل البلاد الجزائرية[2]. فقد استوعبت الجزائر الدرس جيدا وأدركت الأبعاد الحقيقية للحملات الأوروبية الصليبية ضدهم، ولذلك صمم شعبها وقيادتها على تصفية الوجود الإسباني الاستعماري في البلاد بمختلف الوسائل وبأي ثمن[3]. فقد قام الإخوة بربروس بقبول عرض الجزائريين، الذين استغاثوا بهم حتى يستطيعوا صد وإخراج القوات الاسبانية من أراضيهم، فحاربوا الاسبان جنبا إلى جنب مع الإخوة بربروس[4].

ففي سنة 1512م حاول عروج الاستحواذ على بجاية استجابة لنداء الوالي الحفصي المطرود ولكنه لم يستطع مواصلة الحصار لأن قذيفة مدفعية قطعت له يده، مما اضطره

1- محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ص208.

2- أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة المخصصة المصرية، القاهرة، ص ص 68،69.

3- يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة، الجزائر، 2009، ص263.

4- أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر...، ص ص 68،69.

إلى التراجع[1]، فلم تنجح هذه الحملة وذلك بسبب تحصينات الاسبان القوية، وتعاون أمراء بني عباس مع الاسبان، بالإضافة إلى إصابة عروج البليغة في ذراعه أثناء محاولة اقتحام المدينة مما إضطر المشرفين على علاجه أن يقطعوا ذراعه بعد أن إستعصى عليهم علاجها[2].

4-1- تحرير جيجل 1514م:

رغم انهزام عروج في محاولته الأولى لاسترجاع بجاية، إلّا أنه لم يفقد عزيمته وصلابته، ورأى أن محاصرة بجاية واحتلالها ليس بالأمر الهين، كما رأى أن وجوده بتونس يبعده عن أرض المعركة المقبلة[3]، فقرر البحث عن مكان جديد له ولحلفائه يستقروا به، ويكون قريبا من بجاية، فوجد أن جيجل أحسن مكان لهم للتمركز والاستعداد لشن حملته على بجاية مرة أخرى[4]، حيث أن مدينة جيجل كانت تقع على بعد 102 كيلومتر غربي بجاية، وهذا ما يساعده لاحقا، وقد كانت جيجل محتلة من طرف الجنويين منذ سنة 1260م ووضعت بها حامية، واتخذت منها مركزا للتبادل التجاري بين ايطاليا وإفريقيا[5]. ثم هجم عليها أندري دوريا الذي كان في خدمة فرنسا عام 1513م، واحتلها وسنحت الفرصة لعروج وأخيه عندما استنجد بها سكانها فحصلا عليها وانتزعاها منه عام 1514م، ونقلا بعدها مركزهما من حلق الوادي وأصبحا على مقربة من بجاية[6].

1- شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الاسلامي إلى سنة 1830م، تعريب محمد مزالي، البشر بن سلامة، ج2، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص326.

2- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، الجزائر الحديثة، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص11.

3- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص165.

4- يحي بوعزيز، الموجز ج2...، ص12.

5- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص165.

6- يحي بوعزيز، الموجز ج2...، ص12.

4-2- المحاولة الثانية والثالثة لتحرير بجاية(1514-1515م):

- المحاولة الثانية لتحرير بجاية 1514م:

قام عروج بتوجيه حملة على بجاية بمساعدة حليفه ابن القاضي الذي سنتعرّف عليه لاحقا، لمحاصرة بجاية في أوت 1514م، فقصف المدينة بمدافع مراكبه، كانت القبائل بقيادة أبن القاضي تحاصرها من البر، تمكن من السيطرة على إحدى قلعتيها، لكن المدينة استعصت عليه، فلم يتمكن منها[1]، إذ أشتبك مع حاميتها في معارك قاسية، وكان يتابع في الوقت ذاته دراسة التنظيم الدفاعي للمدينة في محاولة لتحديد نقاط الضعف التي تساعد على اختراق التحصينات والأسوار، واستمرت مدة الحصار[2]. ثلاثة أشهر، اضطر إلى رفع الحصار[3] وعاد إلى جيجل لقضاء فصل الشتاء فيها وإكمال الاستعدادات[4].

- الحملة الثالثة لتحرير بجاية 1515م:

لقد عاد عروج في ربيع سنة 1515م يقود جيشه برا نحو بجاية، بخطة جديدة، فجاء بالعمارة البحرية للمشاركة في العملية، واقتحمت سفن الأسطول مصب نهر الصومام، ودخلت محاذية للمدينة، وكانت مياه الوادي يومئذ غزيرة، وأنزل جيشه وراء الحصون المواجهة للوادي، ونصب الحصار بصفة محكمة حول المدينة[5].

وركز عروج نيران مدفعيته على معقل الحصن الصغير،واستمر في قصفه بقوة وعنف حتى تم تدميره، والقضاء على معظم حاميتها. فحاولت قوات المجاهدين اقتحام المدينة عبر أنقاض القصر الصغير[6]، لكن خط الحصون كان متينا، ومراتطع جيش عروج إقتحام البلدة

1- صالح عباد، الجزائر خلال العهد التركي 1514-1830م، دار هومة، 2012، ص42.
2- بسام العسلي، مرجع سابق، ص91.
3- يحي بوعزيز، الموجز ج2...، ص91.
4- بسام العسلي، مرجع سابق، ص91.
5- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص168.
6- بسام العسلي، مرجع سابق، ص91.

من ناحية البحر، فولى وجهه شطر القصر الكبير وأخذ يقصفه بمدافعه، ويحاول تحطيمه، واستعملوا ضدّه الألغام، وأتلفوا الخندق المحيط به[1]، وأمر عروج ببناء برج مرتفع فوق التل الذي يهيمن على بجاية حتى يراقب سير المعركة، كما عمل على رفع المدافع إلى التل من أجل ضرب الأسوار بالضرب المباشر، وقرر مهاجمة المدينة هجوما عاما من كل الجهات، ووقعت معارك دموية استشهد فيها عدد كبير من المجاهدين، وقتل عدد من الاسبانيين أيضا، وكانت أعمال القصف والتدمير قد استنزفت كمية البارود من السلطان الحفصي بتونس[2]، والذي امتنع عن تزويده بالذخيرة، مما اضطره إلى الانسحاب منها بعد أسر عدّة مئاة من الاسبان 600. ومن حسن حض عروج واخوته في هذه أن السلطان العثماني بعث اليهم 14 سفينة ومجموعة من المجدفين المهرة، وكمية من الأسلحة والذّخار جراء الهدية الثمينة التي أرسلها له، بعد فتح جيجل.

سمح الجهاد البحري الذي كان يقوم على جهود المتطوعة من الأهالي والأتراك والأندلسيين بمحاصرة وتصفية الجيوب الإسبانية وبالتالي وضعوا حدا باسترجاع جيجل 1514م وتنس 1516م وحصن الصخرة البنيون بمدينة الجزائر 1529م وبجاية 1555م فقد بلغ عدد غارات البحارة الجزائريين على السواحل الأوروبية ثلاثة وثلاثين غارة ناجحة مابين 1528م-1584م[3] أنظر: (الملحق رقم 03 ص99).

5-إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519م:

بعدما تمكن الأخوان عروج وخير الدين من تحرير السواحل الجزائرية من قبضة الإسبان والتي دفع ثمنها عروج الذي استشهد سنة 1518م على أيدي الإسبان، مما أثر على نفسية خير الدين وجعله يحزن على فراق أخيه وهذا ما دفعه إلى إعادة النظر في

1- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص168.

2- بسام العسلي، مرجع سابق، ص91.

3- ناصر الدين سعيدزني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، 2012، ص ص143،144.

تسيير أمور البلاد[1]، ثم إنّ خير الدين عزم على السفر إلى إقليم الروملي لأجل الغزو ومواصلة الجهاد، فجمع أهل الجزائر كلهم وأعيانها من العلماء والصلحاء والمشايخ وقال لهم:" إنّي قد عزمت على السفر لحضرة السلطان، وقد أمنت الآن على بلادكم لما أخلفه عندكم من العسكر المجاهدين، وقد وصل إليكم من أهل الأندلس عدد كثير وعندكم من السلاح والعدة ما تقومون به بأمر الجهاد وعدوكم الكافر قد خيبه الله تعالى ورده على عقبه مذموما[2]، ... وأنّي تركت في بلادكم أكثر من أربع مئة مدفع ولم يكن في بلادكم ولو مدفع واحد"[3].

وعلى هذا الأساس عقد أعيان مدينة الجزائر اجتماعا طارئا بعدما قرر خير الدين المغادرة فرفضوا قراره وهذا ما أكده مفتي الجزائر آن ذاك بقوله الموجه لخير الدين:"... ليس لهم غيرك كحاكم، وسيكون من غير المشرف أن تتركهم عرضة لهجمات الكفار، الذين لا ينتظرون إلا الوقت الذي تبتعد فيه عنهم ليغرقوا العباد بجيش من البرابرة"[4]، وألح عليه أهل الجزائر وأجابوه فان الله يوجب عليه الجهاد في هذه المدينة لحماية المسلمين وأن الدين لا يسمح له بتركها للمفترسين[5].

فوافق خير الدين على البقاء، مشترطا عليهم ثلاثة شروط وهي: أن يطلبوا بقائه من السلطان سليم الأوّل* كونه خليفة للمسلمين وأنه تابع لهم، أن يطلبوا انضمام الجزائر إلى

1- محمد حميد محمد، أسد البحار بربروسا، ط1، دار النقائش للنشر والتوزيع، بيروت، 2010، ص58.

2- مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين... ، ص41.

3- جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، ص81.

4- بوضرايسية بوعزة، دولر العثمانيين الأتراك في تحرير المدن الساحلية، ص ص4،5.

5- بسام العسلي، مرجع سابق، ص108.

* **السلطان سليم الأول:** (1467-1520م)هو ابن بايزيد تاسع سلاطين بني عثمان تولى السلطة عندما تنازل له والده عن العرش وقتل إخوته. قاد أعضم فتوحات العثمانيين في العالمين العربي والإسلامي خاصة في تهديده للصفويين والممالك. كما تميز بالشجاعة والتنظيم، توفي عندما كان يستعد لفتح رودس عام 1520م- عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، 32، ط2، المؤسسة الغربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993، ص234.

الدولة العثمانية وأن هذه البلاد التي تدعى المغرب الأوسط لا يمكن أن تقاوم العدو متخاصمة لذلك ينبغي لها تكوين دولة مركزية قوية[1].

وقد خاطب أعيان مدينة الجزائر قائلا لهم: "ظهر لي من الرأي أن نصل يدنا بطاعة السلطان مولانا سليم فيمدنا بالمال والرجال ولا يكون ذلك بصرف الخطبة إليه وضرب السكة عليه"، فرضي أهل المدينة من قراره[2]، فقرر أعيان الجزائر بعدها ضم الجزائر إلى الخلافة العثمانية لتنال دعم إسطنبول وعرض ذلك على السلطان سليم بواسطة وفد أرسل لمقابلته بالقاهرة[3].

وتمت الموافقة على تعيين خير الدين بايلرباي على الجزائر[4]، وأمر بإرسال ألفي عسكري مسلحين وقدم للذين يتوجهون للجزائر إمتيازات الإنكشاريين*[5] كما منحت لهم تسهيلات ومصاريف الطريق وقدمت بالمثل للراغبين في الالتحاق بصفوف الجيش الإنكشاري وهو ما وفر الدعم العسكري للدفاع عن المدينة ضد الحملات الاسبانية واستمرت عمليات إرسال المجندين عبر دفعات متعاقبة وإن اختلف عددها من فترة لأخرى[6].

1- عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، طبعة 2013، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2010، ص ص375-376.

2- جمال قنان، مرجع سابق، ص52،

3- أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2010، ص19.

4- عثمان سعدي مرجع سابق، ص ص 375-376.

** **الإنكشارية:** كلمة تركية تعني العسكر الجديد وهو جيش من المشاة أنشا في عهد السلطان أورخان كان له مركز مميز بين فرق الجيش العثماني اعتمد في تأسيسه مسيحيين من البلقان بعد نشأتهم على الإسلام- جورجي زيدان، مصر العثمانية تحقيق، تحقيق محمد حرب، دار الهلال الإسكندرية، 2003، ص65.

5- العيد بن شيخ، موسوعة شطرطيوة، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، إعداد لمياء قاسيمي ، الجزائر، ص02.

6- فهيمة عمريوي، الجيش الإنكشاري بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني القرن 12هـ/18م، دراسة اجتماعية، اقتصادية، من خلال سجلات المحاكم الشرعية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث جامعة الجزائر، 2008-2009، ص36.

كان به أن تم إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية رسميا سنة 1519م تاريخ رسالة مجلس أعيان الجزائر إلى السلطان سليم الأول وحول البيعة له كسلطان هي التي رسمت نهائيا الحماية العثمانية على الجزائر[1]. فقام بعدها السلطان سليم الأول بارسال 2000 جندي وفتح أبواب التجنيد للعثمانيين الراغبين في التطوع في الجيش الجزائري إذ وصل عددهم إلى 4000 جندي[2].

وتمت الموافقة على تعيين خير الدين بايلرباي* على الجزائر، وهنا تكون بدأت مرحلة البايلربايات في الجزائر[3]، فأمر بإرسال ألفي عسكري مسلحين مع قوة مدفعية وقدم للإنكشاريين اللذين يذهبون إلى الجزائر إمتيازات[4]، كما منحت لهم تسهيلات ومصاريف الطريق وقدمت بالمثل للّراغبين في الالتحاق بصفوف الجيش الانكشاري، وهو ما وفر الدعم العسكري للّدفاع عن المدينة ضد الحملات الإسبانية، ومنذ ذلك الوقت استمرت عمليات إرسال المجندين عبر دفعات متعاقبة وإن اختلف عددها من فترة لأخرى[5].

وتوالت انتصارات خير الدين بالجزائر، أعضمها استرجاع قلعة البنيون سنة 1529م، وبنائه ميناء حصين وأسس أوجاق الجزائر[6].

وبفضل دعم السلطان سليم الأول وانتصارات خير الدين بربروس تحّول هذا الأخير من أمير البحر إلى رئيس دولة مرتبطة بالإمبراطورية العثمانية.[7] واتخذ علم بلاد الجزائر

1- بوضرايسية بوعزة، مرجع سابق، ص06.

2- أرزقي شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519-1830م، ط2، دار الكتاب العربي، حي الآمال، الجزائر، 2016، ص ص11،12.

***بايلرباي:** بايلرباي أو باي لرباي، وهم بمثابة نواب السلطان العثماني، وبقائهم في مناصبهم لم يحدد بزمان- محمد ابن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق، وتح، محمد عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص34

3- عثمان سعدي، مرجع سابق، ص ص375،376.

4- العيد بن شيخ، موسوعة السياسة العثمانية اتجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر، إعداد لمياء قاسيمي، الجزائر، ص02.

5- فهيمة عمريوي، مرجع سابق، ص36.

6- العيد بن شيخ، مرجع سابق، ص02.

7- عمار بوحوش التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ط2، دار الغرب الإسلامي، 2005، ص54.

لنفسه[1]. ويذكر محمد السيد أن العثمانيين أمدو خير الدين بألفين من الإنكشارية وأربع مائة من الأرناؤوط* وعدد من المدافع وتمكن من إثبات وجوده في المغرب الأوسط[2]،

وبذلك تمكن خير الدين باسم السلطان العثماني من تخليص الجزائر من الغزو الإسباني[3]، وإليه يرجع تأسيس الإيالة** الجزائرية، كما أنه أول من بني القوى البحرية الجزائرية من 1519م-1546م[4].

1- وليام لانجر، موسوعة تاريخ العالم،ترجمة محمد مصطفى زيادة، ج4، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر،1983، القاهرة، نيويورك، ص1127.

* **الأرناؤوط:** هم ألبانيوا الجنسية لم يستعمل في القديم لفظ الألبان بل الأرناؤوط- محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1996، ص14.

2- محمود السيد، تاريخ دول المغرب العربي، ليبا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2010، ص ص162.

3- إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في العصر الحديث، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية لدار النشر، الرياض،1997م، ص62.

** **الإيالة:** اصطلاح إداري من العصر العثماني قبل إلغاء الانكشارية، ويقصد به الولاية حسب قانون ناما وهو وحدة إدارية يرأسها الباشا أو الوالي- مصطفى عبد الكريم الخطيب، مرجع سابق، ص ص57-58.

4- بوضرايسية بوعزة، مرجع سابق، ص06.

الفصل الأول

أهم القوى المحلية بالجزائر آل القاضي وبني العباس

- الإمارات المحلية بالمغرب الأوسط (الجزائر).
- أصل ونسب آل القاضي.
- تأسيس إمارة كوكو سنة 1510م.
- الأوضاع العامة لإمارة كوكو.
- أصل ونسب بني عباس.
- ظروف تأسيس القلعة.
- تأسيس قلعة بني عباس سنة 1510م.
- العلاقة بين آل القاضي وبني عباس.

II. الإمارات المحلية بالمغرب الأوسط (الجزائر):

شهد المغرب الأوسط خلال القرن السادس عشر ميلادي تفككا من حيث وحدته السياسية والاجتماعية فاختفت الدويلات التي كانت سائدة به والتي ظهر بعدها مجموعة من الإمارات، والمدن المستقلة بذاتها، ونخص بالذكر بلاد القبائل التي ظهرت بها إماراتان: وهي إمارة كوكو* (آل القاضي) التي كانت تحكم بلاد القبائل الكبرى**، وإمارة المقرانيين التي كانت تحكم بلاد القبائل الصغرى*** واتخذت من قلعة بني عباس مقرا لها[1]. وللتعرف أكثر على هاتين الإمارتين نتطرق لدراسة نسب وتأسيس إمارة كل منهما على حدة:

1- أصل ونسب آل القاضي:

يرجع أغلب المؤرخين أصل ونسب آل القاضي إلى النسب الشريف حيث يشير شارل فيرو بأنهم يمتلكون شجرة أسرتهم التي تأكد صحة هذا القول والتي تعود للنبي صلى الله عليه وسلم، وجدهم هو عمر ابن إدريس الذي كان يحكم القبائل الصنهاجية 828م، وبعد سقوط الأدارسة انسحب هذا الفرع منهم إلى كوكو بجرجرة[2]، وقاموا بتأسيس زاوية به سميت بزاوية كوكو تعود لمؤسسها عمر بن القاضي المجاجي[3].

---

* **كوكو:** هو استحكام يقع في جرجرة، بشبه مدينة صغيرة، وهو ملك لقبيلة زواوة. وتقع كوكو على أستقامة (تيزي وزو، فورناسيول-ميني شلة- بني منصور) على بعد 8 كيلومترات من الجهة الشرقية منها. بني فوق هضبة مرتفعة ومحاط بسور قديم وبداخله جامع- عبد العزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا، تر محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989، ص ص144.

** **القبائل الكبرى:** وهي ولاية تيزي وزو الحالية. المهدي بوعبدلي، تاريخ المدن، إعداد عبد الرحمان دويب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص329.

*** **القبائل الصغرى:** وهي المنطقة الممتدة في واد بجاية. نفسه، ص329.

1- نفسه، ص326.

2- شارل فيرو، تاريخ جيجلي، ترج عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص97.

3- أحمد ساحي، الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو(1512-1767م)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة تيزي وزو، 2015، ص41.

في حين يرى عمار عمورة أن هذه العائلة تنحدر إلى الصوفي سيدي محند بن القاضي (محند تحريف بالقبائلية لمحمد) الذي أسس الصومام، واستطاع ابنه أبو العباس أن يحتل مكانة بين أهالي مدينة الجزائر[1].

كما تنسب أسرة آل القاضي لبني غبرين وذلك نسبة إلى أبي العباس بن أحمد الغبريني المتوفى (704هـ/1304م)، التي كانت تتمركز إلى أحواز عزازقة بمنطقة القبائل الكبرى، ولربما يكون جد أحمد بن القاضي، أو والده أبو مهدي عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني قاضي الجماعة وعالمها وصالحها وخطيبها المتوفى (816هـ[2])، بالإضافة إلى أنه كان سياسيا ومؤرخا ومن أشهر أعماله التي تركها لنا قاموسه البيبلوغرافي للعلماء الذين عاشوا في بجاية في القرن السابع للهجرة[3]، الذي ينحدر من أصل مرابطي[4]، قد اشتغلوا بالقضاء لأن جدهم الأول كان قاضيا في بجاية أيام الدولة الحفصية (627هـ،943هـ/1229م)[5]،

وقد مارس أحمد بن القاضي الولاية حيث عينه السلطان الحفصي واليا على عنابة،[6] ثم تولى قضاء بجاية [7] لاشتغاله في السياسة وتفوقه العلمي بالإضافة إلى البسالة والشجاعة

1- عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ ،الجزائر عامة ما قبل التاريخ 1962،ج1، دار المعرفة للنشر والتوزيع، باب الواد، الجزائر، ص192.

2- الشيخ عبد الرحمان الثعالبي، انظر عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس الغبريني، تح الأستاذ رابح بونار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ص 24 -17.

3- محمد الصغير فرج، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954، تع موسى زمولي، الطبعة أنجزت في إيطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية، دار ثالة للنشر والتوزيع، 2007، ص27،

4- بن شيخ علي، نشأة مملكة كوكو، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة بجاية، 2006، العدد 11 12، مارس، ص329.

5- مؤلف مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروس، تح وتق وتع عبد الله حمادي، المكتبة الجزائرية، دار القصبة للنشر، 2009، ص15.

6- عبد الحميد بن أبي زيان بن آشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر ،مكتبة جواد حمادي، ص،146.

7- الشيخ العلامة بن يوسف الزياني ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح الشيخ المهدي بو عبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2013م، ص232.

التي كان يبديها في الحروب، والتي تزامنت مع ظهور الأتراك الذين لجأ إليهم لمساعدته،[1] فقد أثنى عليه معاصروه ومن بينهم أبن عسكر فقال عنه :"بأنه الشيخ الصالح المتصوف العالم بوظائف التشريع والمصالح أحد أنصار هذا الدين المهتدين وكان من الفضلاء والصلحاء الأبرار مجتهدا باذلا نفسه وماله في إقامة شرائع الدين."[2]

ونظرا لاختلاف أراء المؤرخين حول أصل ونسب آل القاضي إلا أنهم اتفقوا جميعا على أنهم ذوي مكانة علمية ودينية مرموقة في المجتمع.

2- تأسيس إمارة كوكو سنة 1510م:

يرجع تأسيس إمارة كوكو إلى سوء الأوضاع والاضطرابات التي عرفتها منطقة بجاية، فقد تم تشكيل أسس هذه الإمارة إثر الاحتلال الإسباني لبجاية من طرف الإسبان سنة 1510م، إذ قام أحمد بن القاضي الغبريني بخروجه هو ومن معه من أتباعه نحو بلاد القبائل الكبرى،[3] حيث أسس إمارته سنة 1510م[4]، وجعل مقره في الجنوب الشرقي لمدينة لربعاء نايت إراثن،[5] بقبيلة ايت يحي، وتدعى أورير،[6] عند منابع وادي سيباو بالسفوح الشرقية لجبال جرجرة،[7] وهذه القبيلة ليست غريبة عنه، إذ هي المنطقة التي ترعرع فيها أجداده ومنهم أبو العباس الغبريني[8](أنظر الملحق رقم05 ص101) و(الملحق رقم06

1- أرزقي شويتام، فعاليات إمارة كوكو، تيزي وزو 30 سبتمبر 2010، المحافضة السامية للأمازغية، محاضرة قسم التاريخ، إمارة كوكو (1511-1767م) ،جامعة الجزائر، ص ص ،9،10 .

2- عبد الحميد ابن آشنهو، مرجع سابق، ص147.

3- عبد القادر فكاير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وأثاره، 910 1206هـ/1505 1792م، دراسة تتناول الأثار السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية على الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012،ص 135.

4- Rinn Louis، Histoire de l'insurrection de 1871 en Algerie، librairie adolphe jourdan، imprimeur-libraire-éditeur 4 place du governememt، 1891 ، p09.

5- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص194.

6- عبد القادر فكاير، مرجع سابق، ص135.

7- عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،ج3، طبعة 2014، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 1830، ص ص48،49.

8- أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص ص 09 ،10 .

ص102). في حين يذكر مارمول كربخال أن تأسيس المدينة يعود إلى القرن التاسع هجري، الخامس عشر ميلادي في جبل أيوك لانداس أو كوكو وإليه تنسب المدينة الذي قدر آن ذاك عدد سكانها نحو ألف وستمائة ساكن من فروع قبائل الزواوة* إلى جانب قبيلة يهودية[1]، يحدها من الشمال والشمال الشرقي قرية تافنينس ومن الشرق إمسوحال وآث أنظار ومن الجنوب آث جبارة ومن الغرب ثفرواث في عهد التحالف مع الإخوة بربروس[2]. وهي واقعة على ثمانية كيلومترات من عين الحمام بقبيلة آيت يحي[3].

وقد لعبت هذه الإمارة دورا مهما على الصعيد الداخلي والخارجي، فاستطاعت أن تصد الهجمات المتكررة من طرف الإسبان، الذين كانوا يحومون على المنطقة، وفي هذه الفترة ظهر الإخوة بربروس في غرب البحر الأبيض المتوسط، فطلب منهم أحمد بن القاضي الإغاثة، وذلك من أجل التصدي للخطر الصليبي الذي كان يهددهم في تلك الآونة، نظرا لضعف إمكانياتهم المادية والعسكرية[4].

3- الأوضاع العامة لإمارة كوكو:

عرفت إمارة كوكو منذ نشأتها أوضاع مختلفة وذلك لاختلاف نشاطاتها التي برزت في مختلف المجالات، مشكلة بذلك عهد الإمارة التي ظهرت خلال البدايات الأولى للقرن

---

* - **الزواوة:** اختلف المؤرخون في نسب الزواوة، والزواوة قبائل كثيرة ومشهورة، ومواطنهم ومساكنهم بشمال إفريقية يجعلهم البحر الأبيض المتوسط،الممتد من خليج مدينة الجزائر إلى بجاية-إحدى عواصمهم إلى جيجل نصف دائرة فهؤلاء هم المعروفون والمشهورون بالزواوة - الشيخ أبو يعلي الزواوي، تاريخ الزواوة،مراجعة وتعليّق الأستاذ بوراي إسماعيل، طبع في الجزائر جانفي 2008، ص31.

1- مفتاح خلفات، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين 6-9هـ/12-15م دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، جامعة المسيلة، قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص ص، 123،124.

2- علي بن شيخ، مرجع سابق، ص332.

3- عبد الحميد ابن آشنهو، مرجع سابق، ص147.

4- أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص ص09،10.

السادس عشر وانتهت إبان القرن الثامن عشر، ولكي نوضّح الأوضاع التي عاشتها الإمارة سنتطرق للحديث عن مجالاتها باختصار:

أ- الحياة الإجتماعية:

لقد شهدت إمارة كوكو عهودا مختلفة تميز كل عهد عن الآخر، وكانت أكثر ازدهارا في عهدها الأوّل، فقد عرفت إمارة كوكو استقطاب السكان الذين كانوا يشكلون بنيتها الإقتصادية والسياسية والعسكرية والعلمية، إذ كان يسكنها حوالي 1600 نسمة، رغم وعورت طرقها ومسالكها التي كانت بمثابة الحصن المنيع عليها، وذلك لصعوبة الوصول إليها والخوض فيها[1]. كما أنّها كانت تولي أهمية كبيرة للمرابطين والفقهاء والعلماء وشيعتهم من الأعيان، الذين تقلّدوا مختلف المناصب المهمة وذات السلطة، فقد كانوا بمثابة أجهزة تنفيذية واستشارة ووصاية، في غياب السلطة أو في أوقات فراغها يحتكر هؤلاء كل النفوذ[2].

ب- نظام سياسي:

لقد نصب سكان مملكة كوكو أحمد اولقاضي حاكما عليهم، وذلك لنسبه الشريف المرابطي[3] ، بالإضافة إلى أنّه ذو خبرة سياسية، حيث أنّه كان يشغل منصب حاكم عنابة التي كانت تابعة لملك تونس أبي عبد الله، حيث كانت المدينة تابعة له عندما أتاه طلب نجدة الأخوين بربروس ضد الإسبان المحتلين لمدينة بجاية[4]. وليكون حاكما على سكان القبائل الجبلية، قامت بالاشتراط عليه أن يكون تحت حمايتهم، مقابل التحالف معه والإقامة في أراضيهم بعدما كان يقيم في قرية أورير، التي انتقل بعدها إلى كوكو، وكان ذلك مقابل احترام أحمد بن القاضي لتقاليد وقوانين مختلف القبائل، كما اشترطت عليه هذه الأخيرة عدم

[1]- كورين شوفاليه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، 1510-1541، تر جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص37.

[2]- أحمد ساحي، المرجع السابق، ص156.

[3]- علي بن شيخ، المرجع السابق، ص332.

[4]- محمد الصغير فرج، المرجع السابق، ص28.

التدخل في شؤونها الداخلية والخارجية، وبهذا كانت القبائل قد حصلت على استقلالها، ومنعت الملك من ممارسة أي ضغوطات سياسية على تنظيم وإدارة القبائل الواقعة على الضفة اليسرى لواد سيباوو مهما كانت الظروف[1]، وقد كانت هذه الفترة من أزهى عصورها حتى عهد عمر بن القاضي، الذي شهدت معه الإمارة تدهورا في أوضاع الإمارة من جميع النواحي، حيث كان هذا الأمير يخضع السكان لضرائب أرهقتهم، كما كان يأخذ خيولهم وحميرهم وغيرها من الدواب في فصل الصيف لنقل مؤو نته ومؤونة جيشه، ونقل مختلف البضائع، تاركا بذلك السكان ينتظرون ، وهذا ما عطّل أعمالهم وجعلها تتدهور، بالإضافة إلى تمردهم عليه وبذلك حلت الفوضى[2].

ج- عسكريا:

لتكون الإمارة قوة كان لا بدّ لها من جيش يحميها ويدافع عنها، فقامت بتشكيل جيش قوي، وذلك من أجل شنّ الحملات العسكرية في الخارج، وبخصوص هذا الجيش ذكر مارمول كربخال أنّه يتشكل من 5000 من الرماة و1500 من الفرسان بدون ذكر الكثير من الرجال المسلّحين على الطريقة لسائدة في البلد، وكلّهم شجعان وذوي خبرة في الأسلحة[3]، كما أنّهم كانوا أغنياء يمتلكون الخيول المعدّة للقتال، والتي كانوا يستخدمونها ليتقاتلوا عليها في حروبهم[4].

---

[1]- علي بن شيخ، المرجع السابق، ص 333.

[2]-S. A.BOULIFA، LE DJURDJURA A TRAVERS L HISTOIRE، depuis L' Antiquite jusqu a 1830 ORGANITION ET INDEPENDANCE DES ZOUAOU(GRANDE KABYLIE) AVEC une carte hors texte ALGER J.BRINGAU IMPRIMEUR-Editeur 7 boulevard de France 1925 p201.

[3]- علي بن شيخ، المرجع السابق، ص335.

4- مارمول كربخال، تاريخ إفريقيا،ج2، تر عن الفرنسية محمد حجي محمد زينبر وآخرون، الجمعية المغاربية للتأليف والترجمة، 1988-1989، ص374.

د- الجانب الاقتصادي: اعتمدت الإمارة على موارد داخلية توفرها بلاد زواوة الجبلية والحوضية، لاسيما منها الحوض الأعلى من سيباوو إلى بوبهير الخصيب، كما أنّها لم تعتمد على نضام المحلة لتحصيل الضرائب والأعشار والزكاة عبر بلاد زواوة، ولم تتخذ نظاما مقننا للتبادل مع الخارج[1]، بل اعتمدت على إنتاجها المحلي القد والمتمثل في عدة نشاطات خدمت الجانب الإقتصادي وهي:

1- **الصّناعات:** مثل

- **الصناعات الحديدية:** مثل صناعة المسحوق الذي يستعمل في البندقية، ويوجد أيضا مناجم السلفاتر والتجار يجلبون الكبريت من فرنسا، وللإمارة مناجم الحديد وأحسن العمال الذين يصنعون السيوف والخناجر والرماح[2].
- **صناعة النسيج:** كان أهل إمارة كوكو يصنعون أجود المنسوجات[3]، وقد نالت رواجا كبيرا في شمال إفريقيا، إذ كان القماش آنذاك يعتبر الأفضل في هذه المنطقة، كما ساهمت المرأة بصفة معتبرة في الإقتصاد، إذ أنّها كانت تغزل الصفوف وتنتج به النسيج لنسج الألبسة للذكور والإناث.
- **صناعة الصابون:** فقد كانوا يقومون بصنع الصابون من مخلفات الزيتون ويمزجونها، كما يستخلص من شجرة التين[4].
- **صناعة النحاس:** إذ كانوا يمزجون النحاس مع الزنك فيصبح معدنا صلبا فيستخدم في صناعة الأسلحة ويستعمل النحاس في صناعة الحلّي وتعتبر منطقة آث يني من المناطق المتخصصة في صناعة الّقود. ونجد سكان قرية آث لربعاء مشهورين أكثر في هذا المجال[5].

[1]- أحمد ساحي، مرجع سابق، ص139.
[2]- علي بن شيخ، مرجع سابق، ص336.
[3]- مارمول كربخال، مصدر سابق، ص374.
[4]- علي بن شيخ، مرجع سابق، ص336.
[5]- نفسه، ص336.

- **المجال التجاري:** كانت تتم المعاملات التجارية للإمارة عن طريق موانئ دلس وأزفون وبجاية وجيجل. وقد كانت هذه التجارة قائمة على تبادل البضائع مثل العسل، والشمع والجلود والزيوت[1]. وكانت تقام عندهم سوق كبيرة كل يوم جمعة[2]، بالإضافة إلى أنّها كانت تتوفّر على شبكة هائلة من الأسواق الخاضعة لنظام المكوس التقليدي، وقد أكدت المصادر على أن نصيب الإمارة هام منها، زيادة على الضيفة المقدمة للسلطان وموكبه ووزرائه وعساكره وحيواناتهم[3].
- **المجال الزراعي:** تقع الإمارة في موقع استراتيجي هام به منابع مياه وبساتين تحتوي على مختلف الثمار، كما أنّها تتمتع بأشجار الزيتون، التي تغل عليهم زيتا كثيرا، وفي السهول التي بأسفل الجبل يحصد قمح كثير، وفي الأرض التي بأعالي الجبال يأتي الشعير بوفرة، بالإضافة إلى تربية الأنواع المختلفة من المواشي والنحل الذي يعطي العسل[4].

ومنه نستنتج بأن إمارة كوكو عاشت حياة مزدهرة ، كانت ذات قوة سياسية وعسكرية، ساعدت الإمارة على التعمير مدة لابأس بها من الزمن، رغم كثرة الإضطرابات والفتن.

4- أصل ونسب بني عباس:

ظهرت في القسم الشرقي من بلاد القبائل أسرة بني عباس واتخذت قلعة بني عباس عاصمتا لها، والتي يرجع الفضل في تأسيسها إلى الأمير "عبد العزيز الحفصي[5].

وقد لعبت هذه الأسرة دورا هاما من الناحية الاجتماعية والاقتصادية خاصة الجانب العسكري والسياسي، وقد وجدت عدة تأويلات لنسبهم،حيث ينسبهم الورثلاني إلى النسب الشريف بقوله: « وهم من شرفاء العيش شريف نسبا كما هو عند ابن فرحون في طبقات

---

[1]- محمد الصغير فرج، المرجع السابق، ص29.
[2]- مارمول كربخال، مصدر سابق، ص374.
[3]- أحمد ساحي، مرجع سابق، ص139.
[4]- مارمول كربخال، مصدر سابق، ص374.
5- عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، ص 12.

الشرفاء سيدي أحمد بن عبد الرحمان نفعنا الله به وهو من تلامذة الشيخ سيدي يحي العبد لي ».[1] في حين ينسبهم رين Rinn إلى فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم،[2] التي ينحدر أجدادها من قبائل عياض الذين هاجروا إلى إقليم المغرب العربي في القرن 11م خلال الزحف الهلالي على الإقليم، واستقروا بجبال قلعة بني حماد في المعاضيد شمال مدينة المسيلة وجنوب شرق مدينة برج بوعريريج، وارتبط تاريخهم هناك بالأمراء الحماديين*[3]. ويدعم هذا الرأي شارل فيرو حيث يذكر لنا اعتمادا على الرواية الشفوية التي جمعها من كبار شيوخ الأسرة إن إدريس الأول فر من بطش الخليفة الهادئ بعد الأحداث الدامية التي عرفتها مكة والمدينة التي أدت إلى مقتل الحسن بن علي حوالي عام (170هـ/786م)، ولجأ بعدها إدريس إلى بلاد المغرب وتمكن من تأسيس دولة الأدارسة التي دامت قرابة قرنين من الزمن، وبعد مقتل إدريس الأول على يد الخليفة هارون الرشيد تنازع أبناؤه على الملك فضعفت دولتهم، واضمحلت، ثم سار خليفة الأندلس لقتال الحسن بن إدريس الأول بعد أن رفض الخضوع له، وقام بقتله فتفرق بعد مقتله أبناؤه في الجبال واندمجوا وسط البربر وتبنوا نمطهم في العيش وأخفوا كل ما يدل على انتمائهم للأشراف حفاظا على حياتهم [4].

1- الحسن بن محمد الورتيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ المشهورة بالرحلة الورتلانية، طبع في مطبعة بير فونتانا الشرقية في الجزائر، 1908، ص36.

2 -Rinn Louis، op، cit، p 9.

*-**الحماديين:** يرجع نسبهم إلى حماد بن بلكين مؤسس الدولة الحمادية-إلى زيري بن مناد إبن منقوش بن صنهاج الأصغر بن صنهاج الأكبر. وقبيلة صنهاجة نسبة إلى صنهاج وهو أحد أبناء برنس بن بر بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح- عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م، ص48.

3- يحي بوعزيز، ثورة الباشاغا محمد المقراني والشيخ الحداد عام 1871 ويليه مواقف العائلات الأرستقراطية من البشاغا محمد المقراني وثورته عام 1871، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص43.

4- لخضر بوطبة، أسرة أولاد مقران خلال العهد العثماني 1518-1837، مذكرة ماجيستر في تاريخ الجزائر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2005- 2006، ص28.

وقد ذكر ابن خلدون أن أسرة بني العباس يعرفون بسدويكش وديارهم في مواطن كتامة ما بين قسنطينة وبجاية في البسائط منها، ولهم عدّة بطون[1].

في حين تذكر رواية أخرى، أن الشيخ عمر بن القاضي والد الشيخ أحمد بن القاضي الزواوي حاكم إمارة كوكو قد نزح من ناحية معسكر بقرب البلاد إلى جرجرة، حيث أنشأ زاوية في قرية كوكو للتربية والتعليم في القرن السادس عشر وهو الوقت الذي نزح فيه السيد عبد الرحمان الإدريسي وأسس العائلة المقرانية من ناحية معسكر أيضا إلى بلاد زواوة لأخذ العلم عن الشيخ عمر بن القاضي، ثم انتقل فيما بعد من بلاد زواوة إلى بني عباس وانشأ القلعة المسماة باسمهم وهناك ظهر أمره وعلا صيته وأقام دولة دامت ما يقرب من مائة سنة ونافس إمارة أل القاضي وخاصة أيام عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحمان[2]. في حين ينسبهم مارمول كربخال إلى البربر في قوله:« ينتسبون إلى زواوة الشرسين وهم بربر اعتادوا العيش الطليق لم يؤدوا ضريبة إلى أي سلطان»[3]. ومنهم من ينسبهم إلى الحفصيين الذين استقروا بقسنطينة وحكموها بعد ذلك، وكان منهم الأمير عبد العزيز الذي أقام إمارة بني عباس في حدود سنة 1510م[4]، وقد ذكرت عائشة غطاس كذلك أنّ السلطان عبد العزيز بأّنه ينتمي كذلك للحفصيين[5]، كما ساندهم الرأي أيضا صالح عباد لذكره بأن عبد العزيز هو آخر الملوك الحفصيين من بجاية[6].

1- ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، مر سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2000، ص187.

2- لخضر بوطبة، مرجع سابق، ص27.

3- مارمول كربخال، مصدر سابق، ص385.

4- العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر، ص217.

5- عائشة غطاس، مرجع سابق، ص12.

6- صالح عباد، مرجع سابق، ص25.

بالإضافة إلى كل هذا فان أسرة بني عباس تكنى بأولاد مقران أو المقرانيين وذلك نسبة إلى الأمير أحمد أمقران الذي جاء بعد مقتل أخيه عبد العزيز وأخوه الفضل قبله على عهد صالح رايس[1].

5- ظروف تأسيس القلعة:

تقع قلعة بني عباس في بجاية، التي شهدت عدت صراعات سياسية وعسكرية على الجبهة الداخلية، من خلال صراع أفراد الأسرة الواحدة على الحكم، وصراع على الجبهة الخارجية والمتمثل في الغزو الاسباني لهذه المدينة والهجمات المتكررة عليها.

فقد عرفت هذه المدينة بتبعيتها للسلطان الحفصي بتونس لكنها كانت تتمتع باستقلال ذاتي في تسيير شؤونها، فلما وصل أبو عبد الله الحفصي إلى حكم تونس عام 1494م، وجعل على رأس كل من مقاطعتي بجاية وقسنطينة إثنين من أبنائه. فعين أبا العباس عبد العزيز حاكما على بجاية، وعهد بحكم قسنطينة إلى أبي بكر. الذي رغب هذا الأخير في الاستيلاء على مملكة أخيه عبد العزيز، مما أدى إلى نشوب صراع شديد بينهما،[2] فأبو بكر كان يرغب في توسيع حدود ولايته، فكان كلما سنحت له الفرصة يوجه هجومه على بجاية، إلا أنها كانت تقاومه بشدة، بقيادة عبد العزيز الذي تمكن من الحفاظ على سلطته رغم الدمار الذي كان يلحقه أبو بكر بأرياف مملكته بجاية خاصة مطلع عام (912هـ/1507م)[3]. حيث ازدادت تهديدات أبي بكر للمدينة في محاولة منه لانتزاعها من عبد العزيز، فنجده قام بحصارها بداية عام (913هـ1507م) لمدة أربعين يوما، وكانت

1- صالح العنتري، فريدة منسية، في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، ويليه روضة النسرين في التعريف بن صعد الأنصاري الأشياخ المتأخرين تأليف الشيخ محمد بن صعد الأنصاري التلمساني المتوفي سنة 901هـ، مر وتح الدكتور يحي بوعزيز، طبعة خاصة 2009م، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر،ص29.

2- يوسف بنو جيت، قلعة بني عباس إبان القرن السادس عشر ميلادي، ترجمة سامية سعيد عمار، وتقديم محفوظ قداش، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر،2009، ص ص33-35.

3- صالح عباد، مرجع سابق، ص10.

المواجهة عنيفة بينهما، مما دفع أبا بكر للانسحاب والعودة إلى قسنطينة وبعدها كتب عبد العزيز رسالة إلى أبي بكر يخبره فيها بأنه لن يتخلى عن بجاية[1]، لكن هذا الأخير كان ينتظر الفرصة المناسبة ليعيد هجومه في السنة الموالية لكنه هزم هزيمة نكراء، فاستغل بذلك عبد العزيز انتصاره وولج إلى الحضنة ومنها إلى قسنطينة، التي فتحت له أبوابها وحين كان منشغلا بتدعيم سلطته جاءه خبر نزول الإسبان في بجاية[2].

ونتيجة لهذه التوترات العائلية القائمة بين عبد العزيز وأبي بكر، كان العدو بيدرو نفارو Pedro navro قد علم بهذه الظروف فاغتنم الفرصة وقام بتوجيه أسطوله البحري نحو بجاية حيث أرسى على ساحلها في شهر جانفي من الناحية الشرقية للمدينة تحت ضريح سيدي عيسى السيوكي من عام (916هـ/1510م) فاستطاعوا الاستيلاء عليها رغم مقاومة البجائيين لهم وبعد انهزامهم اضطروا إلى الانسحاب نحو الجبال المحيطة بالمدينة والاحتماء بها[3]، في حين لم يسلم من بقية الأهالي من بطش العدو الاسباني، الذي ما كاد يتمركز بالبلدة حتى شرع في قتل من وجد في طريقه من أهالي البلدة وتحطيم المنشئات العمرانية، لكن سكان بجاية لم يستسلموا للإسبان وقد كانوا يشنون الحروب ضدهم بقيادة الأمير عبد العزيز الذي ما كان عليه في الأخير الانسحاب والتحصن بجبال بجاية[4]، ولما استولى الإسبانيون على المدينة دعوا سكانها للعودة إليها بشرط دفع تكاليف الحرب ودفع ضريبة بانتظام والتكفل بمئونة الحامية، ولمواجهة هذا الوضع قام عبد العزيز بتنظيم حملة بقيادة ولده أبي فارس لكنه انهزم، ولما وصلت أخبار الهزيمة إلى والده الذي كان في قسنطينة في إطار الصراع مع أخيه أبي بكر الذي قام بمقاومة جيش أخر لمواجهة الزحف

1- نبيل بمولة، القوى المحلية في منطقة القبائل الشرقية في القرن 10هـ/16م بني العباس نموذجا،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص57.

2- صالح عباد، مرجع سابق، ص10.

3- نبيل بمولة، مرجع سابق، ص57.

4- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص122.

الاسباني، لكنه لم ينجح للخلاف بين الجيشين الأمر الذي جعل من أبي بكر يقرر العودة إلى قسنطينة[1].

حيث تمكن من قتل أخيه الأمير عبد العزيز متى سمحت له الفرصة، وقد خلفه ابنه العباس، ولما أدرك السكان عدم جدوى المقاومة، وبعد سقوط العديد من الضحايا قام بقية من نجا من السكان بالفرار من المدينة، ومن ضمن هؤلاء السكان الفارين نجد أسرة عائلة السلطان عبد العزيز الذي لجأ قسم منها إلى منطقة آيت أوجابر وقسم آخر إلى الزواوة وآيت سعود وبني غيليس[2].

6- تأسيس قلعة بني عباس سنة 1510م:

ظهرت إمارة بني عباس مع مطلع القرن السادس عشر ميلادي في منطقة القبائل والمناطق المجاورة لها[3]، وكان ذلك بعد أن اضطر سكان بجاية للفرار إلى مكان يكون أكثر أمنا على أرواحهم، ويكون حصنا منيعا لهم من هجمات الإسبان والمنافسين لهم على الحكم خاصة جيرانهم من آل القاضي[4] ، وذلك كان بعد أن ترك الأمير عبد الرحمان جبل عياض ليقيم بجبال البيبان من سلسلة الونوغة،[5] حيث استقر في بادئ الأمر بمنطقة الشواريخ وأخيرا بمكان القلعة شمال غرب سهل مجانة داخل المنطقة الجبلية الغربية وعلى الضفة اليمنى لواد الساحل، الذي يفصل بين قبيلتي بني عباس وقبيلة زواوة من حيث إمارة كوكو[6] أنظر(الملحق رقم07 ص103) و (الملحق رقم08 ص104)، واتخذ لنفسه لقب سلطان إلى غاية

1- نبيل بمولة، مرجع سابق، ص57.

2- صالح عباد، مرجع سابق، ص ص 33 ،34.

3 -Boumoul Nabil، la kalaa des beni Abbés en Algérie un royame au cœur de la kabylie (bejaia)، enseignant chercheur à l'université de M'sila Algerie accueilli par le laboratoire IHMC، de l'université de paris 1 panthéons sorbonne.

4- عبد القادر فكاير، مرجع سابق، ص137.

5-Rinn، op، cit، p09.

6- نبيل بمولة، مرجع سابق، ص56.

وفاته سنة 1510م، حيث دام حكمه عشر سنوات ليخلفه ابنه عبد العزيز، لذلك تعتبر الكثير من المصادر أنّ سيدي عبد الرحمان هو المؤسس الفعلي لإمارة بني عباس، التي ظهرت على أساس ديني بعد التفاف القبائل حول زاوية الأسرة التي كانت مقصدا للطلبة والعلماء من مختلف الجهات[1].

وقد ذكر صالح عباد على أن قلعة بني عباس ما هي سوى قلعة ونوغة التي ذكرها المريني والتي يبدو أنها أخذت اسمها من العباس بن عبد العزيز وقد اختلف في تاريخ بنائها إذ يعيدها البعض إلى الحماديين بعد رحيلهم من قلعتهم في السهول العليا بفعل الضغوط التي مارستها القبائل العربية عليهم في القرن الحادي عشر، لكن أغلب الظن أن القلعة كانت قد بنيت ثم أعيد بنائها من طرف أميري بجاية اللذين جعلا منها عاصمة لإمارة بني عباس والتي امتد نفوذها من جنوب جرجرة إلى الحضنة.[2]

وهناك رواية جاءت في مستهل كلام فيرو وهي أن الانطلاقة الفعلية لهذه العائلة وتواجدها كانت من خلال وقفة الأمير عبد الرحمان البطولية مع سكان بني عباس ضد المعاملة السيئة التي كانوا يتلقونها من طرف أمراء كوكو حيث أعطاهم فكرة بناء القلعة، والتي أصبحت منطقة يحكمها أحفاده من بعده هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد أورد فيرو كذلك أن سيدي عبد الرحمان وخلال أيام دراسته في منطقة كوكو أثار غيرة معلمه عمر بن القاضي لما أثبته من جدارة علمية وتفوق وجزاء ذلك قام عبد الرحمان بالانتقال نحو الضفة اليمنى لواد الساحل وبالضبط عند جبال بني عباس أين استقر هو وعائلته في المنطقة المسماة بالقرابة حيث لا تزال هذه الأخيرة محل تقدير واحترام من طرف سكان القلعة[3]. وقد ذكر الورتلاني بأنّ مؤسس القلعة يرجع لولد عبد الرحمان لقوله:« وفي مجانة بتخفيف الجيم

1- رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية 1518-1830م، أطروحة دكتورة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2017-2018، ص ص178،177.

2- صالح عباد، مرجع سابق، ص33.

3- نبيل بمولة، مرجع سابق، ص61.

أمراء ومحاربون، ولعلّ جدّهم يشفع فيهم وهو من القرن التاسع وولده هو الذي بنى قلعة بني عباس، وأقام المملكة فيها بأن أسس العساكر وجّيش الجيوش وأخذ المغرم في القرن العاشر بان وصلت عساكره عمالت تونس وواد ريغ، في الصحراء ومن جهة المغرب مزاب وبلد الأغواط.....»[1].

7- العلاقة بين آل القاضي وبني عباس:

لقد جمع المغرب الأوسط العديد من بطون القبائل وشيوخها، التي شكلت الساحة السياسية والاجتماعية للمغرب الأوسط، ويظهر ذلك من خلال مكان تواجدهم ونخص الذكر الإمارتين السابق ذكرهما (آل القاضي وبني العباس) في دراسة العلاقة التي كانت قائمتا بينهم في طرح السؤال التالي: فيما تجسدت العلاقة بينهما؟ وما الدور الذي لعبته كل منهما في هذه الفترة؟.

وقد تجسدت طبيعة علاقة آل القاضي وبني العباس بالصراع والتنازع المستمر فيما بينهم[2]، وذلك بسبب العداء الذي كان قائما بين جد المقرانيين عبد الرحمان وأحمد بن القاضي الموالي للأتراك. وذلك بسبب نفرة استحكمت بين القبيلتين[3]، والتي كان سببها العادات السيئة والمشينة التي كان يمارسها أهل كوكو في حق بني عباس وهي حادثة جرت بإحدى الأسواق التابعة لإمارة بني عباس قرب إغيل علي، وكان عبد الرحمان مؤسس القلعة حسب المصادر شاهدا عليها، حيث كان آل القاضي في كل أسبوع يجبرون حوالي 400 أربعمائة فرد من بني عباس بأن يقوم كل اثنين منهم بحمل عمود خشبي على كتفيهما، تعلق عليه الشاة بعد ذبحها وسلخها وتعرض للبيع، وهم على هذه الحال طوال اليوم، وكل هذا دون مقابل ومن دون اعتراض منهم على هذا التصرف، ولما رأى السلطان عبد الرحمان هذا

1- حسن الورتلاني، مصدر سابق، ص36.

2- عبد الرحمان الجيلالي، ج3...، ص ص42-37.

3- مارمول كربخال، مرجع سابق، ص385.

الفعل استنكر له واغتاظ، وما كان منه إلا أن أمر شيخ السوق بالكف عن هذا العمل موبخا إياه، فما كان من رد الشيخ إلا القول أن الأمر لا يعنيك وعن هذه العادة تمت ولست أما من يعيدها[1].

بعد هذه الحادثة قام الشيخ عبد الرحمان بعقد اجتماع مع أعيان بني عباس لتخليصهم من عبوديتهم وتعاستهم وذلك بوضع حد لهذه المعاملة فما كان منهم إلا الخوف والخذلان، فوضع لهم عبد الرحمان خطة عسكرية محكمة تزيح عنهم الظلم وتخلصهم من استبداد ابن القاضي ونير عبوديتهم[2] .

والشيء الذي يوضّح تذبذب العلاقة بين الطرفين هو تحالف أحد الطرفين إما مع الإسبان، أو السلطة التركية، وذلك من أجل التغلب على الطرف الآخر وعدم الخضوع له، وما يؤكد ذلك بعض الوقائع التي جرت بين بني عباس والسلطة العثمانية أو عدو البلاد الإسبان.

فبعد تمرد ابن القاضي على خير الدين سعى هذا الأخير في التقرب من أمير بني عباس، وذلك من أجل التخلص من آل القاضي ويرجع هذا التحالف إلى سنتي 1520_1525م، والبعض يرجعه إلى سنة 1529م[3].

وأعيد إبرام تحالف آخر في ولاية الحسن بن خير الدين الأولى سنة(1544م_1551م) الذي تم فيها تكليف بني العباس في محاربة آل القاضي الذين كانوا في عداء مستمر مع السلطة العثمانية خلال هذه الفترة[4].

1- نبيل بمولة، مرجع سابق، ص95.

2- نبيل بمولة، مرجع سابق، ص95.

3- صالح عباد، مرجع سابق، ص50.

4- رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص 355.

امتازت العلاقة بين أمراء كوكو وبني العباس بالتغيير المستمر فتارة كانت لصالح الجزائر وتارة أخرى لصالح الإسبان[1].

لكن رغم كل هذه الصراعات القائمة بين آل القاضي وبني العباس إلا أنه شهدت فترة من الزمن تحالف فيها الطرفان حسبما ذكر عبد الرحمان الجيلالي، الذي ذكر بأنه في سنة (921هـ/1515م) اتحدت قوات المسلمين وجاءت جيوش القلعة العباسية يقودها الأمير عبد العزيز الحفصي منتصرة للفاتحين الأتراك والتحقت بهم جيوش أحمد بن القاضي من جرجرة وتقدم الجميع للقضاء على قوات الإسبان ببجاية لكن الحض لم يحالفهم في تحقيق النصر[2].

وبذلك كانت العلاقات بين الإمارتين قد عرفت بمنافسة، تحلت بالمكانة والقوة تبعا للظروف المحلية والمحيطة بإحداهما، وربما استفاد بنو العباس أو بنو القاضي من ضائقة الأخرى، لكن التلاقي والتحالف بين الإمارتين لم يكن مستحيلا[3].

1- نبيل بمولة، مرجع سابق، ص96.

2- عبد الرحمان الجيلالي، ج3...، ص29.

3- أحمد ساحي، مرجع سابق، ص103.

الفصل الثانـي

علاقة آل القاضي بالسلطة العثمانية

- **علاقة آل القاضي بالسلطة العثمانية قبل الإلحاق الرسمي للجزائر بالدول العثمانية (1512م-1519م)**
- **علاقة أولقاضي بالسلطة العثمانية بعد إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519م**
- **انقسام عائلة أولقاضي خلال القرن 17م**

- **علاقة آل القاضي بالسلطة العثمانية قبل الإلحاق الرسمي للجزائر بالدول العثمانية (1512م-1519م)**

III. علاقة آل القاضي بالسلطة العثمانية قبل الإلحاق الرسمي للجزائر بالدول العثمانية (1512م-1519م):

شهد المغرب الأوسط (الجزائر) خلال القرن السادس عشر تكالب القوات الأوروبة على سواحلها، والتي قامت باحتلال بعض سواحلها خاصة السواحل الكبرى والمهمة مثل احتلال المرسى الكبير سنة 1505م ، واحتلال وهران 1509م[1]، واحتلال بجاية وعنابة في نفس السنة 1510م[2]، بالاضافة إلى إخضاعهم دلس والجزائر،وتنس ومستغانم، وذلك بعد أن دبّ الضعف في الجزائر بسبب الصراعات الداخلية التي كانت تعيشها في تلك الفترة ، فأهملت أمور البلاد لاشتغالها بفك النزاعات التي كانت قائمة آنذاك في عقر دارها.

وبهذا شهدت الجزائر فراغ سياسي شغله وجهاء وعلماء الجزائر، الذين كانوا يفكون الصراعات، ويحثون على الجهاد، وقد كانوا بمثابة المرشدين والمسئولين على صد الغارات، حيث كان لهم الفضل في استدعاء الإخوة بربروس حينما كانا بتونس[3]، والذين ذاع صيتهم آنذاك في الحوض الغربي للمتوسط، واشتهروا ببسالتهم في محاربة القوات المسيحية خاصة لما أبدوه في هجومهم على القوات الاسبانية بمدينة بجاية سنة 1512م ، وقد لقوا الدعم من طرف الأمراء الحفصيين، كما التفت من حولهم كثير من المقاتلين القبائل[4]، وبعد هذه الحملة مكث الأخوان بربروسا بجيجل، حيث وصلت لهم وفود عديدة من المدن الجزائرية، فكان أهمها وفد مدينة الجزائر، والذي جاء يشكوا ظلم وبطش الاسبان عليهم، فطلبوا المساعدة

---

[1]- عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر...، ص88.

[2]- صالح عباد، مرجع سابق، ص33.

[3]- محمد لعباسي، أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط خبر قدوم عروج رايس إلى الجزائر وأخيه خير الدين لمؤلف مجهول من سنة 918هـ/1512مإلى سنة 953هـ/1546م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، قسم الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2005-2006م، ص30.

[4]- شارل فيرو، مرجع سابق، ص96.

منهم لإجلاء العدو الكافر[1]، ومن بين الذين كانوا على رأس الوفد الذي ذهب إلى الأخوين بربروس هو ابن القاضي الذي وجه رسالة للإخوة بربروس قال فيها:«إن بلادنا بقيت لك أو لأخيك أو للذئب»[2]، فلبى عروج نداء الوفد حيث أنه خرج في 500 بحار متجها إلى مدينة الجزائر بعد أن ترك خير الدين في جيجل[3].

وقد أكد اليفراني أيضا بأن ابن القاضي هو من استنجد بالعثمانيين، في حين أشار ابن عسكر إلى أن إبن القاضي هو الذي كان سببا في دخول التركماني إلى الجزائر، وذلك لثقته بهم في تخليص الجزائر من الغزو الاسباني، ومحبته منه للجهاد في سبيل الله[4]. فكان أحمد بن القاضي هو السبب المباشر في قدوم الأخوين بربروس إلى بجاية، والسباق إلى احتضان عرّوج وتمهيد الطريق له للوصول إلى الجزائر، التي كانت تحت تهديدات الملك الكاثوليكي فرناندو الأراغوني المتوفى سنة 1516م، وكانت الظروف قد جعلت من أحمد أولقاضي وخير الدين خير حليف[5].

ومنه نستخلص بأن علاقة ابن القاضي والعثمانيين، كانت علاقة حسنة منذ سنة 1512م، وذلك لأنه هو أول من هبّ لطلب المساعدة من العثمانيين[6]، فكان الصديق والحليف للأخوين بابا عروج وخير الدين، وقدم لهما يد المساعدة في إرساء القوى التركية بالجزائر، ومحاربة القوى الاسبانية[7]، وبعد تعيين سكان جيجل بابا عروج أميرا عليهم، طلب

---

[1]– خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للّنشر والتوزيع، الجزائر، 2010هـ/1431م، ص74.

[2]– هشام سوادي، تاريخ العرب الحديث 1516–1918، من الفتح العثماني إلى الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الفكر ناشرون وموزعون، 2010، ص42.

[3]– خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص74.

[4]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص361.

[5]– مؤلف مجهول، سيرة المجاهد خير الدين...، ص14.

[6]– أحمد ساحي، مرجع سابق، ص91.

[7]– شارل فيرو، مرجع سابق، ص97.

منه شيوخ القبائل وأمير جبل كوكو أحمد بن القاضي إعادة الهجوم على الاسبان المتواجدين في بجاية، فقام منه أن نضم حملة عليهم عام 1514م[1]، فقصف المدينة بمدافع من مراكبه، حيث كانت القبائل بقيادة ابن القاضي تحاصرها من البر، تمكن من خلال هذا الهجوم بالسيطرة على إحدى قلعتيها، لكّنه لم يستطع تحرير المدينة[2]، فحاصرها مدة 03 أشهر، لكّنها لم تنجح فقام بإعادة الكرة عليها في ربيع العام الموالي فلم يحالفه الحض أيضا هذه المرة.

ومن هنا يظهر لنا بأن عروج باربا‌روس وابن القاضي كانا على وفاق تام، وهذا ما أكده يوسف بنو جيت في مؤلفه ،حيث قال:« لم يكن ابن القاضي حليفا لعروج وحسب، بل صديقه الحميم، والأمر الذي لم يعهد في هذا البحار الصنديد، أّنه طلب النجدة أثناء يأسه من مصائبه المتلاحقة، فعزاه أحمد ابن القاضي بأن قّدم له منزله وعرض عليه مؤازرته في كلّ مساعيه، وتعاهدا على الصداقة المتبادلة، ورفعا الحصار عن بجاية سنة 1514م، والتجآ إلى جيجل حيث عاشا أمدا في ظروف غامضة.»[3]

وبعد مضي عامين على تواجد الإخوة باربا‌روس بالجزائر، وفي يوم 22جانفي 1516م توفي ملك إسبانيا الذي عقد مع سالم التومي معاهدة في 31 جانفي 1510م، فقام سالم التومي بمواجهة القوات الاسبانية بالجزائر والتي نقضت بنود المعاهدة المتفق عليها[4]، فبعث سكان الجزائر بني مزغنة سفراء إلى البحارين بربروس يطالبونهما بتحريرهم من صرح الخزي والطغيان المتمثل في الصخرة الشهيرة التي شيدها الإسبان على جزر صغيرة، في

[1]- يحي بوعزيز، الموجز ج2...، ص12.

[2]- صالح عباد، مرجع سابق، ص45.

[3]- يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص111.

[4]- عبد الحميد ابن آشنهو، مرجع سابق، ص68.

واجهة الجزائر، فخرج عروج نحو الجزائر مع جيش يتكون من 20000 بربري يتزّعمهم أحمد بن القاضي جاؤوا لمد يد العون لتحرير البلاد من نير الكفار[1].

بالإضافة إلى خروج ابن القاضي مع بابا عروج في معركة استرجاع جيجل سنة 1515م. ومن هذه الأحداث نرى بأن ابن القاضي كان ملازما دوما لعروج، وشاهدا على الوقائع التي كانت تحدث، من قتل سالم التومي وتولية عروج الحكم، وكل الوقائع التالية بما فيها رحلة شرشال وتنس وتلمسان، التي جاءت تلبية لدعوى أمرائها تقدم بها وفود من الأعيان بما فيه وفد ترأسه ابن القاضي للأستانة[2].

كما قام ابن القاضي مع عروج سنة 1518م، في حملته على تلمسان بجيش بلغ 3000 جندي زواوي، حاربوا في صف عروج، واستطاعوا تحقيق النصر الأول، الذي حرر تلمسان من يد الأمير الموالي للإسبان، وحاميتهم بوهران بينما فر الأمير عبد الله إلى وهران ليعود بقوة ويهجم على جيش عروج وخير الدين أيضا.

فلم تكن معركة متكافئة بين الطرفين، حيث أّنه لم يعثر خلالها على أثر ابن القاضي الزواوي، فقد التزمت المصادر الصمت أو القفز على الأحداث، وما تذكره فقط هو من وحي خياله، لأّنه ربما يكون ابن القاضي قد سلك غير الطريق الذي سلكه عروج، ولا تعلل انسحاب ولا اختفاء الرجل، عندما دفع عروج حياته ثمنا عندما كان يدافع على تلمسان[3].

ومن خلال كل هذه الأحداث والتحالفات التي كانت تربط آل القاضي وعروج بربروس يتضح لنا بأّن الطرفان عرفا توافق وتأقلم كان منذ الوهلة الأولى التي دخلت فيها القوى العثمانية للجزائر.

---

[1]- يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص114.

[2]- أحمد ساحي، مرجع سابق، ص91.

[3]- نفسه، ص91.

2- علاقة أولقاضي بالسلطة العثمانية بعد إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519م:

لقد واجه خير الدين بعد استشهاد أخيه عروج تمرد القبائل التي تقطن في السهول المجاورة إلى مدينة الجزائر، فقد قاموا برسم خطة للقضاء على الأتراك، وذلك كان بإشعال سفنهم التي ترسو في البحر في حين يقوم فريق منهم بإغلاق أبواب المدينة، عند خروج الأتراك نحو إنقاذ سفنهم، فيكون لهم بذلك سهولة التخلص فيمن بقي من الأتراك داخل المدينة، لكّنهم فشلوا وتم القبض عليهم لأنّ جواسيس خير الدين كانوا قد علموا بهذا المخطط، وأخبروا به خير الدين الذي قام بقطع رؤوسهم وعلّقها على باب القصر، فخمدت الثورة بعدها[1].

لكنّ الأوضاع بقية مضطربة، فتبين لخير الدين أن القبائل المحلية ستكون أكثر هدوءا واستقرارا في حال تسليم قيادتها لزعامة محلية[2]، فقام بتقسيم الجزائر إلى قسمين قسم شرقي يشمل البلاد القبائلية الجبلية، من شرقي العاصمة الجزائرية إلى حدود المملكة الحفصية التونسية، وعّين على رأسها أحمد بن القاضي، وعين محمد بن علي* على القسم الغربي للجزائر(القبائل الغربية)، والذي يمتد من الجزائر إلى حدود دولة بني زيان الغير المحددة بالضبط، تاركا بذلك الجزائر في أيدي أبنائها، ضنا منه أنّها في أمان، وبعدها تفرغ خير الدين ليواجه القوات الاسبانية والملك الحفصي بتونس والملك المريني بالمغرب[3]،

وقد كان خير الدين آنذاك يحس بأن الخطر سيأتي عليه من ملوك تونس وتلمسان، لذلك بدأ الريس خير الدين يخطط لإخضاعهم إلى سيطرته[4]، وقد تنبأ خير الدين بتهديد

---

[1]- سامح آلتر، مرجع سابق، ص75.

* شيخ عربي من إفريقية- أحمد ساحي، مرجع سابق، ص107.

[2]- سامح آلتر، مرجع سابق، ص75.

[3]- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص211.

[4]- سامح آلتر، مرجع سابق ، ص75.

سلطان تونس له، وذلك بسبب اعتبار هذا الأخير أن مدينة الجزائر تخصه، كما أنّه كان يعتبر عروجا وخير الدين من أتباعه المنشقين عليه، فرغب في استغلال موت عروج، حتى يستطيع إحداث ثغرة يتمكن بعدها من استمالة ابن القاضي[1]، وعمل على إعادة الجزائر إلى دائرة نفوذه[2]، فشرع بحبك المؤامرات والدسائس حتى يستطيع الإيقاع بخير الدين باربا‌روس وينهي وجوده من الجزائر، وذلك بتأليب واستمالة ابن القاضي ومحمد بن علي، حتى يتمردوا على خير الدين ويعلنون الثورة ضدّه[3]، ويدعم هذا الرأي ما جاء في الغزوات عن ذكر سلطان تونس وسعيه للتخلص من خير الدين، الذي كان قد عين أميرا للجزائر من قبل السلطان الأعظم سليم خان، فقام بتوجيه كتاب لسلطان تونس، يخبره فيه:« **بأن خير الدين إذا أتم على هذه الحال سيستولي على ملكه وملك سلطان تلمسان، فطلب منه أن يضرب بين محمد بن علي وبين خير الدين، وهو يضرب بين أحمد بن القاضي وبينه، فإذا دخل هذان الرجلان بين أيدينا ووقعت بينهما وبينه العداوة، تأتي لنا جميع ما نريده.**»[4].

وبقي الحال يشوبه المكر والخداع، فتواصلت بذلك التدبيرات والتحرشات، من أجل التخلص من حكم خير الدين، الذي وجد نفسه بعد توليه منصب البايلرباي في مواجهة المتمردين[5]، الذين كانوا على وفاق وتحالف معه، حيث تحققت رغبة السلطان الحفصي الذي تمكن من عقد تحالف مع أحمد ابن القاضي، الذي كان يسعى إلى توسيع نفوذه، لأنّه لم يكتفي بمنصبه كنائب على منطقة الشرق الجزائري كله، إذ كانت نفسه تتوق وتطمح لأكثر

---

[1]– محمد خبر فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، مدرس تاريخ شمال افريقية الحديث، كلية الآداب– جامعة دمشق،1969، ص31.

[2]– سامح آلتر، مرجع سابق، ص75.

[3]– يحي بوعزيز، الموجز ج2...، ص38.

[4]– مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين...، ص44.

[5]– محمد الصغير فرج، مرجع سابق، ص30.

من هذا المنصب[1]، وهذا ما جعله يستجيب لإغراءات سلطان تونس، رغم أنّه في البداية كان قد تلقى جواب الرفض من طرف أحمد بن القاضي الأب، الذي وجه له خطابا قائلا له فيه:« **يا عجبا أي شيء فعله معك خير الدين من الشر حتى تكتب لي فيه بمثل ما كتبت فإني لا أقدر على خيانته ولا يساعدني قلبي على المكر به فقد رأيت في أيامه من وفور الجاه وبسط اليد ووفور الحشمة ولبس....الجيد واتقاء السلاح المصوّب وركوب الخيل المسومة ما لم أره قبل دلته فاقطع طمعك مني فإني لا أتابعك على ما نريد ولا يحصل مني ندم إن شاء الله....**»[2]، وما يؤكد أن هذا الرفض كان من طرف أحمد ابن القاضي الأب هوما جاء في مذكرات خير الدين، الذي ذكر بأن: «ابن القاضي الأب كان من أحد عظماء العرب ، كما كان يكنّ لي قدرا كبيرا من الصدق والمودة، حاول سلطان تونس أن يحرّضه للخروج علّي إلاّ أنه لم يوافقه على ذلك ودعاه إلى لزوم الطاعة للأتراك والتبعية لهم، الآن توفي هذا الرجل العاقل وحل محلّه ولد طائش يدعى ابن القاضي أيضا، فكان أوّل ما فعله أن اتفق مع سلطان تونس على أن يكونا يدا واحدة ضدي قائلا له: " لنكن يدا واحدة ونخرج الأتراك من بلاد العرب". وكانت الرسالة التي بعث بها هذا الولد الشقي إلى سلطان تونس وقعت بين يدي وذلك قبل أن يمضي شهران على وفاة والده[3]. »

وهناك عدّة أسباب ساعدت ابن القاضي الإبن في إعلانه تمرده على خير الدين من بينها اشتداد الأوضاع في البلاد واضطراب أحوال خير الدين بعد استشهاد أخيه عروج، وهذا ما دفع بابن القاضي من تغيير وجهة نظره لحليف أقوى[4]. وهذا سبب من الأسباب التي جعلت ابن القاضي يتمرد على خير الدين بربروس في حين يوجد رأي آخر يوعز سبب

---

[1]– محمد دراج, الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512–1543), تص ناصر الدين سعيدوني, ط2, شركة الأصالة للنشر والتوزيع, الجزائر العاصمة, 2011م، ص343.

[2]– مؤلف مجهول،غزوات عروج وخير الدين...، ص45.

[3]– خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص109.

[4]– محمد دراج، مرجع سابق، ص344.

خروج ابن القاضي عن طاعة خير الدين بربروس هو استشهاد عروج سنة 1518م، الذي جعل بخير الدين يلقي كل اللّوم على ابن القاضي، حيث حمّله مسؤولية موته، في حين كان له أن يفلت من قبضة الإسبان لو كان ابن القاضي معه، معتقدا بأنه هو الذي طلب منهم تركه وإهماله[1]، لكن هذا الرأي هناك من استبعده وذلك لو أنّ خير الدين الدين كان يشك بابن القاضي ويحمله مسؤولية وفاة أخيه، لما كان قد عيّنه على رأس الوفد الجزائري الذي أرسله للسلطان العثماني سنة 1519م، من أجل طلب إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية[2]. كما أنّه كان يرى في بني قومه وأنصاره دعما له، وسوف يكونون سندا وعونا له، وعدم خوفه من الإسبان لأنّه لا يشكل عليهم أي خطر، بل يساعدهم في التخلص على أكبر خطر يهدد مصالحهم[3]، وهذا ما دفع بابن القاضي قبول دعوة سلطان تونس، ويتحالف معه ضد خير الدين، فانقلب على خير الدين في الشرق، ليصاحبه انقلاب محمد بن علي في الغرب أيضا وأصبحا بذلك يهددانه، ليجد خير الدين نفسه في وسط ثوراتهم، بالإضافة إلى تصديه للإسبان[4]، بعد أن انقلبت المودة والتحالف إلى عداوة بينهم، وهذا ما جعل الطرفان يتواجهان، حيث عرف ابن القاضي كيف يستغل منصبه المخول بزعامة القبائل الشرقية، فاتفق مع سلطان تونس وجمع القبائل حوله، وحرضهم ضد خير الدين، وحين اطمأن إلى تأييدهم له جهزهم بالسلاح وتحرك حسب الاتّفاق مع الجيش التونسي اتجاه الجزائر[5]، فما كان من خير الدين سوى الخروج لمواجهة ابن القاضي، فتقاتل معه قتالا مريرا بجبال زواوة[6]، كانت هذه الحملة بقيادة حسن قارة، فاستطاع أن يهزم أحمد بن القاضي

[1]– كورين شوفاليه، مرجع سابق، ص42.

[2]– أحمد ساحي، مرجع سابق، ص95.

[3]– محمد دراج، مرجع سابق، ص344.

[4]– أحمد ساحي، مرجع سابق، ص107.

[5]– سامح آلتر، مرجع سابق، ص80.

[6]– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص212.

وأتباعه، ففرّ ملك كوكو إلى عنابة لتضميد جراحه وإعادة بناء جيشه[1]، لكّنه لم يعترف بهزيمته[2]، فتلقى مددا من السلطان الحفصي التونسي، فعاد إلى الحرب مع خير الدين[3]، على رأس جيش يتكون بمعظمه من القوات التونسية[4] بالإضافة إلى العديد من عروش جرجرة، وتوجهوا إلى مدينة الجزائر وذلك في سنة 1520م[5]،

لكن أحمد بن القاضي أجل عملية الهجوم بسبب حلول فصل الشتاء وأجرى صلحا مع خير الدين ثم توّجه إلى تونس، فاستغل أخوه فرصة غيابه وعقد تحالف مع الجزائر بعدما أخبر خير الدين بالاتفاق الذي عقده أخوه حاكم تونس[6]، فخرج بعدها خير الدين لمواجهة السلطان الحفصي ضنا منه أنه سيتمكن منه، لاعتماده على جيشه وجيش أحمد بن القاضي[7]، والتقى الجمعان في سهل يسّر[8]، فكانت معركة حامية الوطيس، كان النصر في بداية المعركة لصالح الجيش الانكشاري، الذي ألحق ضربة قوية بالجيش التونسي ما جعلهم يتراجعون إلى يسار مرتفعات فليسة أم الليل، حيث تبعهم الجيش التركي إلى هناك[9]، وحاصروهم فيه، فأتاهم عند ذلك أحمد بن القاضي مظهرا للصداقة، مموها عليهم بالحب القديم، وأشار عليهم بالصعود للجبل، لاستئصال عسكر تونس، والإتيان على جميعهم، فاغتر العسكر بقوله وصعدوا معه إلى الجبل[10].

---

[1]– بن شيخ، مرجع سابق، ص334.

[2]– كورين شوفاليه، مرجع سابق، ص43.

[3]– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص212.

[4]– كورين شوفاليه، مرجع سابق، ص43.

[5]– بن شيخ، مرجع سابق، ص334.

[6]– سامح آلتر، مرجع سابق، ص80.

[7]– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص212.

[8]– صالح عباد، مرجع سابق، ص51.

[9]– كورين شوفاليه، مرجع سابق، ص43.

[10]– مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين...، ص50.

وقد كانت هذه الفكرة مجرد خطة رسمها ابن القاضي من أجل الإيقاع بجيش خير الدين، حيث أنّ ابن القاضي قام بتقسيم جيشه إلى قسمين: قسم منه صعد الجبل مع عسكر خير الدين، وقسم آخر بقي مع العسكر الذي بالمحلى[1]، وقال لهم إذا أنا علقت في الجبل صاعدا، فاقتلوا أنتم هؤلاء العسكر الذين معكم في المحلة، صعدوا معي، وقال لعسكر خير الدين تقدموا أنتم وأنا أكون من ورائكم أقتل العسكر الذين، فذهبوا بهذا الترتيب ولم يبقى في المحلة من العسكر إلا عدد قليل، وصعد بعدها عسكر خير الدين مع جماعة أحمد ابن القاضي، فوجدوا عسكر تونس في مكان ضيق من الجبل[2]، فلما أراد خير الدين الهجوم، أتت خديعة ابن القاضي، حيث وثبت جماعته على العسكر الذي بالمحلة وقتلوهم، وأما الذين بقوا بالجبل[3]، فقد وقعوا بين نارين وقتلوا تقريبا عن آخرهم[4]، ولم ينجوا منهم سوى خير الدين وقليل من رجاله[5]، قد فقد خير الدين في معركته مع ابن القاضي 2000 شهيد و2000 جريح رغم قضائه على جميع العصاة ولم يبق منهم إلا 700 ثائر، والباقي منهم إمّا أسر أو قتل، ومن بينهم شيخ مدينة الجزائر الذي أعدمه وقطع جسده إلى أربعة وعلّقها على أبواب المدينة لتكون عبرة[6]،

كما قام أحمد بن القاضي بعدها بإغراء جماعة العرب، الذين طلب منهم أن يقتلوا كل تركي يقع بين أيديهم، فكان العرب كلما وقع بين يديهم أحد من الأتراك مسكوه وأوصلوه إلى ابن القاضي، فاجتمع منهم نحو المائتين، واستولى على الناحية الشرقية كلها وخرجت بذلك

[1]– محمد لعباسي، مرجع سابق، ص63.

[2]– مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين...، ص ص50،51.

[3]– محمد لعباسي، مرجع سابق، ص63.

[4]– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص213.

[5]– سامح آلتر، مرجع سابق، ص80.

[6]– رشيدة شدري معمر، ، السلطة الروحية...، ص ص 363،364.

من سلطة خير الدين[1]، وبعد هذا الانتصار الذي حققه ابن القاضي زاد من غروره واستمر في هجومه على العثمانيين، حيث أسر منهم 500 تركي، وجعلهم يدورون بالرحى وهم مقيدون، فطلب منه خير الدين إطلاق سراحهم وإلا سيعاقبه، لكّنه رفض واستمر في تحريض القبائل بقوله:" **ما الذي جاء بالأتراك إلى الجزائر؟ هذه بلاد العرب لنجتمع ونتخلص منهم.....**"[2].

ثم إن أحمد بن القاضي قدم إلى مدينة الجزائر في جيش عظيم، وحاصرها وضيق عليها وبقي يغاديها ويراوحها بالقتال أياما، حتى ضاق الحال على أهل الجزائر أشد الضيق وأجهدهم الحصار غاية الجهد، إلى أن حلّ عليهم فصل الشتاء، فأراد أحمد بن القاضي أن ينسحب عن حصار مدينة الجزائر، ويتركه لوقت آخر، فمنعه من ذلك العرب الذين كانوا معه من أهل عمالة الجزائر، بعد انقلابهم عن خير الدين، فخافوا على أنفسهم من عقابه لهم بعد انسحاب أحمد ابن القاضي[3]، وهذا ما اضطر بابن القاضي إلى طلب الصلح من خير الدين[4]، فبعث ابن القاضي كبار قومه ومشايخهم إلى خير الدين، يطلبون منه العفو والصفح، فوافق خير الدين طلب الصلح، رغم أنه كان يعلم أنّ باطنه غير ما يبديه ظاهره لهم، لكنه قبل بالصلح لما رأى أهل الجزائر وما هم فيه من الضيق والشدة من حصار العدو لهم[5]، واتفقا بعدها على هدنة مقبولة من الطرفين، وعلق البعض على أنّ هذه الهدنة سمحت لنفس القبائل المحاربين بالمتاجرة مع خير الدين والجزائر[6]، كما اشترط فيها خير الدين على ابن القاضي بأن يعيد هذا الأخير الأسرى من قومه، الذين بيده، بالإضافة لدفعه مالا مقررا

---

[1]– مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين...، ص51.

[2]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص363.

[3]– مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين...، ص51.

[4]– أحمد ساحي، مرجع سابق، ص100.

[5]– مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين...، ص52.

[6]– أحمد ساحي، مرجع سابق، ص100.

من كل سنة يجهز إليه في كل شهرين قطعة منه، فرضي ابن القاضي بذلك ورد إليه طائفة الأتراك المعتقلين عنده، وأعطاه من ذلك المال المقرر عليه حساب أربعة أشهر[1]، فلم تدم هذه الهدنة سوى أربعة أشهر، فمع انتهاء هذه المدة (أربعة أشهر) حتى كان أحمد بن القاضي، قد أرسل جيشا بقيادة أخيه إلى الجزائر، فتوجه خير الدين للقائه، فانهزم جيش ابن القاضي[2]،

ولكي يستطيع ابن القاضي مواجهة خير الدين، قام باستمالة قارة حسن الذي كان يتولى قيادة فرقة عسكرية من فرق خير الدين، والتي خرج بها من أجل قمع بعض حركات التمرد التي انطلقت في نواحي شرشال، فانقلب على خير الدين، بعدما وعده أحمد بن القاضي بأن يوليه على غرب الجزائر كله[3]، وبهذا الوقت استطاع ابن القاضي أن يؤلّب قارة حسن، وسكان الجزائر على خير الدين[4]،

واضطر خير الدين بعد هذه الهزيمة، وإنقطاع الطريق إلى الجزائر، اللّجوء إلى جيجل، حيث قام باستدعاء سفنه إلى اللّحاق به مع كنوزه ومن تبقى من الانكشاريين، ولم يجرؤ خير الدين إلى العودة إلى الجزائر دون جيش[5]، وقد قام بتقوية نفوذه المادي والمعنوي، واستطاع بذلك استرجاع قوتة في الفترة الممتدة ما بين(1520-1525م) تمكن فيها من تأسيس قوة عسكرية جيدة أحضر جنودها من المتطوعين الذين انضموا إليه طواعية من داخل البلاد [6]،

---

[1]- مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين...، ص52.

[2]- محمد لعباسي، مرجع سابق، ص63.

[3]- محمد دراج، مرجع سابق، ص346.

[4]- محمد لعباسي، مرجع سابق، ص63.

[5]- محمد خير فارس، مرجع سابق، ص ص 31،32.

[6]- سامح آلتر، مرجع سابق، ص ص83،84.

كما كسب تأييد وتحالف سلطان بني عباس، الذي كان قد عاداه في البداية بسبب صداقته مع ملك كوكو العدو القديم لبني عباس، وعاد إلى الجهاد من جديد[1]، فاسترجع القل عام1521م، عنابة 1522م وقسنطينة في نفس السنة[2]، وأغار رجال آل القاضي على المتيجة، واستولوا على مدينة الجزائر سنة 1520م[3]، ووضع في القل حامية عسكرية من 200 جندي انكشاري، وحامية بقسنطينة بها 600 جندي، أما عنابة ترك بها 1500 جندي[4].

وقد اختلفت الآراء حول مدة مكوث أحمد بن القاضي بمدينة الجزائر لما استولى عليها سنة 1520م، حيث أورد أحمد توفيق المدني مدة مكوث ابن القاضي في مدينة الجزائر ستة أعوام (1521-1527م) [5]، في حين ذكر صالح عباد أنّه مكث خمس سنوات[6]، وحسب Berbrugger و Feraud و Robin فإنّ مدة مكوث أحمد بن القاضي بمدينة الجزائر كان ثلاث سنوات (1520-1523م)، أما سعيد بوليفة ومحمد الصغير فرج حددوا فترة حكم أحمد أولقاضي مدة سبع سنوات (1520-1527م)[7]،

وخلال فترة مكوث ابن القاضي في مدينة الجزائر، راح رجاله يرتكبون الأخطاء، ويثيرون الفوضى في المدينة اغتصاب الغنائم وغيرها[8]، وساءت سمعتهم بين الناس[9]، وبدأ الناس يشعرون بالأسف والحزن على فقدان خير الدين[10].

---

[1]- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص213.

[2]- شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص329.

[3]- محمد خير فارس، مرجع سابق، ص ص 31،32.

[4]- رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص364.

[5]- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص113.

[6]- صالح عباد، مرجع سابق، ص51.

[7]- بن شيخ، مرجع سابق، ص334.

[8]- كورين شوفاليه، مرجع سابق، ص44.

[9]- شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص329.

[10]- كورين شوفاليه، مرجع سابق، ص44.

لكن خير الدين لم يترك مدينة الجزائر بين يدي ابن القاضي، فما لبث أن أعاد بناء قّوته وتوحيد صفوف جيشه، أن توجه نحو مدينة الجزائر، لكن قبل أن يتوجه إلى الجزائر أرسل قواته نحو جرجرة سنة 1524م، أين اشتبكت بقوات ابن القاضي في المعركة المعروفة باسم (بوغدورة) [1]،التي انهزم خلالها جيش أحمد بن القاضي، الذي وجد نفسه ينسحب إلى ممر في جبل ثنية بني عائشة[2]، وذلك لتمرد قسم من جنوده عليه، وبانضمامهم إلى جانب القوات التركية[3]، وقد قدر عدد هؤلاء الجنود ب 1800 جندي، زاد انضمامهم إلى الجيش التركي من قوة خير الدين[4]، ولّما سمع ابن القاضي بذلك، استعد للقاء خير الدين، وتوّجه إلى قتاله، حيث جاء إلى جبل، وأسند ظهره إليه، وخندق على عسكره، وكان خير الدين قريبا منه، إذ كان يفصل بينهما واد، ولم يستطع الوصول إليه، وفي صباح اليوم التالي، ركب هذا الأخير فرسه، وقصد ناحية الغرب، فسمعه ابن القاضي، وظّن أنه فار منه، فأمر جماعته بالاجتهاد في طلبه، حتى قصدوا الناحية التي بها خير الدين، فلما وصلوا إليه وقع بينهما قتال، فانهزم ابن القاضي في هذه الحرب، وخسر أثنائها 4000 رجل[5]، وقد تجددت المواجهة بين خير الدين وأحمد بن القاضي ، هذا الأخير الذي خرج من مدينة الجزائر، ليلاقي قوات خير الدين، فالتقيا الطرفان[6] في ثنية بني عائشة، بأحواز شرق الجزائر[7]، فانهزم رجال ابن القاضي، إذ لم يبقى معه إلاّ قلة من الأنصار، فرؤوا بأن هذه الحرب الأخوية توشك أن تحطم كل ما كسبته البلاد خلال السنوات الأخيرة، ورأوا بأن هذا الصّراع لا يستفيد

---

[1]– صالح عباد، مرجع سابق، ص52.

[2]– سامح آلتر، مرجع سابق، ص84.

[3]– صالح عباد، مرجع سابق، ص52.

[4]– سامح آلتر، مرجع سابق، ص85.

[5]– محمد لعباسي، مرجع سابق، ص ص66،67.

[6]– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص ص113،114.

[7]– نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي، دار الحضارة بير توتة، الجزائر، 2006، ص69.

منه أيّ طرف سوى الاسبانيين[1]، لذلك قام عسكره المتواجدين في مخيم بني عائشة باغتيال أحمد ولد القاضي[2]، واستئصال رأسه عن جسمه، وأرسلوه إلى البايلرباي خير الدين[3]. وبعدما تمكن خير الدين من القضاء على ثورة ابن القاضي، ضم إليه إقليم متيجة في نفس السنة، ثم توجه لقمع الثورات التي كانت في شرشال، أين تواجد[4] حليفه الثائر والمنقلب عليه قارة حسن* عقب الهزيمة التي لحقت به، فألقى القبض عليه وقتله، وبمقتل قارة حسن لم يبقى حاجة للحرب، لأن أبواب وطرق المدينة أصبحت مفتوحة أمامه، ودخل بعدها خير الدين مدينة الجزائر معززا مكرما سنة 1525م[5]، وبعدها قام بإخضاع قسنطينة إليه للمرة الثانية سنة 1526م.

كما خضع له أيضا أمير بني زيان أبو محمد عبد الله الثاني الذي عمل على إثارة يحي بن القاضي ليطالب بثأر أبيه المقتول أحمد بن القاضي، فقاتله خير الدين وبعد وساطة كبار قومه أعاده إلى عرش تلمسان مقابل دفع ستين ألف دينار إلى خزينة الدولة الجزائرية ومضاعفة الخراج[6]، وما لبثت تستقر الأوضاع وتنتهي الحرب، حتى عادت من جديد مشكلة الحرب في بلاد القبائل[7] بقيادة الحسين بن القاضي، الذي خلف شقيقه أحمد بن القاضي، بعد وفاته، حيث واصل مواجهة خير الدين على مدار عامين من مقتل أحمد بن القاضي،

---

[1]– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص ص113،114.

[2] –A.Berbrugger, les époques militaires de la grande kabilie, bastide libraire–editeur, paris, 1857, p74.

[3]– كورين شوفاليه، مرجع سابق، ص45.

[4]– أسماء بلالي، مرجع سابق، ص55.

*– قارة حسن: وقارا أو قارة كلمة تركية معناها الأسود– مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين...، ص12، وهو أحد ضباط خير الدين المنشقين عليه خلال ثورة ابن القاضي– أسماء بلالي، مرجع سابق، ص55.

[5]– سامح آلتر، مرجع سابق، ص85.

[6]– أسماء بلالي، مرجع سابق، ص55.

[7]– صالح عباد، مرجع سابق، ص52.

والتي لم تحقق النصر له[1]، فراح يثير المنطقة ضد الأتراك[2] سنة 1529م[3]، وذلك كان بعد خروج خير الدين من مدينة الجزائر نحو تلمسان لتأديب مولاي عبد الله،

ولما رجع خير الدين إلى الجزائر، سار إليه، فسمع بقدومه أخو ابن القاضي، ففرّ هاربا لا يلوى على أحد، فجدّ خير الدين في طلبه، قالوا وبقي في طلبه نحو السنتين، ليريح ذلك الوطن من دائه، ويخرب دياره، ويستولي على أهله وولده، فعند ذلك بعث إليه في شأن الصلح وقّرر على نفسه ثلاثين حملا من الفضة، يوجهها إليه كل سنة، فقبل منه ذلك خير الدين، ورجع إلى الجزائر[4]،

فانتهى بذلك عهد الحسين بن القاضي إلى الاستسلام وقبول دفع الضريبة لخير الدين[5]. بالإضافة إلى أن بحارة خير الدين قاموا بالإمساك على ابن أخيه، الذي طلب العفو معتذرا ونافيا أن تكون له صلة بتمرد عمه، وتعهد بدفع 20 ألف دوقة، وأنه سيكون في خدمة العثمانيين، ووفيا لخير الدين، كما تعهد بعدم النزول من الجبال بدون إذن منه، وأن يدفع له سنويا 10 آلاف دينار و1000 بقرة و2000 شاة و1000بغل و20 فرسا[6].

وقد حضية السلطة التركية مع زعماء القبائل المحلية(ملك كوكو وسلطان بني عباس)، بفترة من الهدوء والسلم، وذلك كان بعد إبرامهم معادة فيما بينهم، عام 1529م من شهر سبتمبر[7]، فاستطاعوا بعدها من تحرير حصن البنيون الذي كان في نفس السنة التي تم فيها

---

[1] – H.D.DE Grammont، histoire d'alger sour la domination turque (1515-1830)، ernest leroux, editeur 28, rue bonaparte، paris، 1887، pp33،34.

[2]– صالح عباد، مرجع سابق، ص52.

[3]– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص114.

[4]– محمد لعباسي، مرجع سابق، ص70.

[5]– صالح عباد، مرجع سابق، ص52.

[6]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية ...، ص364.

[7] –A.Berbrugger, op, cit, p76.

ابرام هذه المعاهدة، والتي جعلت العلاقة بين القبائل المحلية والسلطة التركية، تستقر لفترة، حيث كان أمراء كوكو وبني عباس يقدمون للسلطة التركية هدايا سنوية تقدر ب400 إلى 500 دوقة ويتلقون منها السلاح والألبسة، واستمر هذا التحالف حتى عام 1541م، وهو العام الذي نقذ فيه محمد بن محمد بن القاضي بند معاهدة 1529م، فقام بدعم شارلكان، في حملته على الجزائر سنة(948هـ/1541م) [1]،

وقد أثار هذا التصرف غضب حسن آغا، الذي علم بمساعدة سلطان كوكو لشرلكان، فخرج لتأديبه في نهاية أفريل من عام 1542م، مع 3000 تركي و 2000 فارس عربي، و1000 من المشاة[2] و12 مدافعا، فتوجه بهذه القوة لمحاربة سلطان كوكو، ولما رأى سلطان كوكو قوة حسن باشا تخوف منها وعرف بأّنه لا يستطيع مواجهته، لذلك رضخ للاستسلام وطلب الصلح من حسن باش،[3] فدفع ضريبة بع قدرة بنصيب كبير من المال، وعدد كبير من الثيران والجمال والأغنام،[4]

كما تعهد أيضا بدفع الجزية السنوية من كل عام[5]، وقام بتقديم ابنه ووريثه الذي يبلغ عمره خمسة عشر سنة وهو سيدي أحمد بن القاضي[6]، وبعدها عاد حسن أغا إلى الجزائر دون أن يكون هناك قتال بينه وبين أمير كوكو[7]. وكان من أبرز نتائج هذه الحملة هو حضور سلطان كوكو إلى مجلس حسن آغا لعقد صلح مكتوب بينهما، ومنذ ذلك الحين

---

[1]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية..، ص364.

[2] – Fray Diego de Haëdo, abbé de fromesta، histoire des rois d'alger، traduite et annotée par H–D de Grammont، alger adolph jourdan. Libraire–éditeur، 4, place du gouvernement، 1881، p63.

[3] –A.Berbrugger, op, cit, p76.

[4] – Fray Diego de Haëdo، op، cit، p63.

[5]–S. A.BOULIFA، op، cit، p142.

[6] – Fray Diego de Haëdo، op، cit، p63.

[7]–S. A.BOULIFA، op، cit، p142.

أصبحت المنطقة خاضعة وتحكم بشكل مباشر من حكومة الإيالة بدار السلطان قبل أن تصبح تابعة لبايلك التيطري فيما بعد[1]. ليعود في نفس السنة ويجدد اتصالاته بالإسبان من خلال المراسلات التي كانت بينه وبين شارلكان، حيث طلب فيها محمد بن محمد بن القاضي، من شارلكان العودة وشن حملة على الجزائر حتى يتمكن هو من بسط سيطرته على كامل زواوة، ويتخلص بذلك من غريمه أمير بني عباس والعثمانيين، وهذا طبعا يكونا مقابل ولائه للإسبان[2].

وفي عام 1552م نشب خلاف بين سلطان بني عباس والسلطة العثمانية، فما كان من السلطة العثمانية التي كان يمثلها صالح رايس* أنذاك، أن تقربت من آل القاضي، فتوصلوا إلى الاتفاق معهم مقابل حرية الزواوة في التجارة والتنقل الحّر بين الجزائر وداخل البلاد[3]. كما قام ابن القاضي بعد مضي عام من هذا التوافق، قام أمير كوكو بمساندة صالح رايس، في حملته ضد بني عباس، كما قام أمير كوكو هو وبعض الشيوخ بتدعيم حملة صالح رايس لتحريره بجاية سنة 1555م بقوة مقدرة ب 30000 وكان من نتاج ذلك توطيد العلاقة

---

[1]– زيدين قاسيمي، مرجع سابق، ص46.

[2]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية ...، ص366.

[3]– صالح عباد، مرجع سابق، ص75.

* **صالح رايس:** وصل صالح رايس إلى الجزائر في نهاية أفريل 1552م يحمل لقب باي لارباي إفريقيا واعطاء هذا اللقب للوالي التركي على الجزائر يكشف عن الأهمية التي كان يوليها الديوان العثماني للجزائر. وأصله من الإسكندرية، وقد تعلم فنون الحرب والبحرية في سن مبكرة أثناء أسفاره العديدة مع عروج وخير الدين، وقد سبق للسلطان العثماني أن عينه على رأس أسطوله البحري قبل أن يوجهه إلى الجزائر– مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ص80.

بين الطرفين، وتمكن آل القاضي من توسيع نفوذهم، فأصبح يشمل المنطقة الممتدة من دلس إلى بجاية[1].

وقد زادت صلة المودة والتحالف بين الطرفين، في ولاية حسن الثانية(1557-1563م)، والتي تمت فيها مصاهرة أمير كوكو[2]، الذي تم بعده تدعيم ابن القاضي للعثمانيين في حملتهم على المغرب الأقصى[3] سنة 1559م[4]، كما قام حسان باشا هو وحليفه مللك كوكو بجمع قوتهما، والسير بها نحو قلعة بني عباس لتأديب سلطان بني عباس عبد العزيز[5]، بفرقة تتكون من 1500 مقاتل[6]، والتي لقي خلالها السلطان العباسي عبد العزيز حتفه سنة 1559م[7].

وفي سنة 1563م قام أمير كوكو صهر بتقديم 1000 فارس لحسن آغا ، في حين ذكر مارمول أنه قام بتقديم 6000 رجل، أرسلها مع ابنه، ونفس العدد قدمه أمير بني عباس، وقد قتل في هذا الهجوم قائد زواوة ابن القاضي، وهو صهر الحسن بن خير الدين[8]، و في عام 1569م قام أمير كوكو هو وسلطان بني عباس بالخروج مع علج علي بفرقة عسكرية بلغ عددها ب 6000 فارس من البربر، الذين توجهوا معه لشن حملة على تونس[9]، كانت تهدف لاسترجاعها من الإسبان،[10] كما خرج آل القاضي مع القوات العثمانية ب 1000 فارس سنة 1575م، نحو المغرب الأقصى لتأديب السلطان مولاي مالك، المقيم في

---

[1]- زيدين قاسيمي، مرجع سابق، ص48.

[2]- رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية ...، ص366.

[3]- صالح عباد، مرجع سابق، ص77.

[4]- رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص366.

[5]- مارمول كربخال، مصدر سابق، ص389.

[6] -A.Berbrugger, op, cit, p95.

[7]- يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص168.

[8]- رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص366.

[9]-S. A.BOULIFA ,op, cit، p142.

[10]- رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص377.

عرشه بفاس[1]، وقاموا أيضا بمشاركة خيضر باشا في حملته ضد قلعة بني عباس سنة (999هـ/ 1590م)، والتي دامت شهرين كاملين، كما أعقبت عن دفع ضريبة حرب قدرت ب 30,000 إكو دفعتها إمارة بني عباس[2].

لكن تحالف السلطة العثمانية مع آل القاضي لم يستمر طويلا، فقد تغير الوضع بعد تعيين عمر بن القاضي سنة 1583م خلفا لمحمد بن أحمد بن القاضي على عرش إمارة كوكو[3]، ومنذ عام 1595م اتّضح التباعد بين السلطة التركية وإمارة كوكو[4]، التي ضعف نفوذها في عهد عمر بن القاضي[5]، الذي قام بربط علاقات مع ملك إسبانيا فرديناند الثاني، فكانت هناك مراسلات بين الطرفين ما بين سنتي 1598م و1610م[6]، ما يوضح تقارب عمر بن القاضي (1583-1618م) ما بين(1603-1618م) مع الاسبان،[7] فقد تم العثور على مراسلة بتاريخ 1603م أنظر: (الملحق رقم09 ص105)، تذكر هجوم الأتراك بقوات تعدادها 8000 جندي لبلاد القبائل، وتؤكد رفض الأمير عمر بن القاضي الصلح المعروض عليه في انتظار دعم اسباني موعود من اسبانيا، التي قبلت دعمه حتى يستطيع التصدي للقوات العثمانية[8]، فأرسلت له 200 جندي قتل منهم بني جناد 90 جنديا[9]، فور وصولهم بشاطئ تمقوط* بأزفون[10]، ووصل به الأمر إلى حد نصح الملك الإسباني باغتنام الفرصة

---

[1]-S. A.BOULIFA، op، cit، p142.

[2]- زيدين قاسيمي، مرجع سابق، ص48.

[3]- رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص377.

[4]- أحمد ساحي، مرجع سابق، ص52.

[5]- رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية ...، ص377.

[6]- بن شيخ، مرجع سابق، ص334.

[7]- رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية ...، ص377.

[8]- أحمد ساحي، مرجع سابق، ص105.

[9]- رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص377.

*- **تمقوط:** هو مرسى الفحم كما حدده بربروجر في أزفون (أقمون) تامدة أو قمون- أحمد ساحي، مرجع سابق، ص105.

[10]- أحمد ساحي، مرجع سابق، ص105.

لاحتلال مدينة الجزائر، كما قام عمر بن القاضي بإرسال رسالة ثانية لملك إسبانيا سنة (1610هـ/1019م)، يطلب فيها من الملك الإسباني التحالف معه ضد الأتراك[1]، ويوضح فيها أن ما حدث لجنود الإسبان سابقا، ماهي إلا خديعة من بني جناد، إلا أن الإمبراطور الإسباني لم يقدم له الدعم، حتى أنه لم يجبه على الرسالة.

ويبدو أن مرابط بني جناد سيدي منصور اكتشف مؤامرة عمر بن القاضي، لذلك كشف أمره للعثمانيين، الذين ساعدهم عند نزولهم ببني جناد 1618م، وهذا بسبب رفضه تقاربه مع الإسبان[2]، كما أنه انزعج ورفض خروج آل القاضي عن مبادئ العيش البسيط الذي عهدوا عيشه، فراحوا يقلّدون الأتراك في الحكم، وحياة القصور وإقامتهم بالعاصمة، فدخلوا بذلك لحياة مليئة بالّرخاء والبذخ، في حين أّنهم كانوا متعودين على حياة التقشف، والتواضع في أسباب الحياة[3]، ولم تكن هذه الأسباب فقط التي أثارة غضب وسخط سيدي منصور من آل القاضي، حيث اعتاد أمير كوكو أعمر أولقاضي، أخذ دواب (بغال وحمير ..) القبائل المجاورة لمملكته ومنه قبيلة جناد، في فصل الصيف فينقل بها الحصاد ومؤن جيشه ثم يعيدها له عند إنهاء عمله، وبالتالي منع بهذا التصرف السكان من الذهاب في الوقت المناسب لإنجاز أعمالهم في الوقت المحدد ، بالإضافة إلى أّنه قام بإقامة معسكر في سوق الخميس، الذي كان يزوده بمئونة جيشه من دواب و حبوب (الشعير) [4]، فقام الشيخ سيدي منصور برفضه مقابلة سلطان كوكو، الذي اعتاد أن يهرع كل قادة الأعراش وعدول القرى لاستقباله عند باب السوق، قبل أن يمنعهم سيدي منصور من ذلك[5]، وحرضهم بعدم تقديم

[1]- نبيل بمولة، مرجع سابق، ص96.

[2]- رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية ...، ص377.

[3]- أحمد ساحي، مرجع سابق، ص53.

[4]-S. A.BOULIFA، op، cit، p142.

[5]- أحمد ساحي، مرجع سابق، ص53.

الضيافة له، وكذلك بغالهم وحميرهم التي يستعملها عمر بن القاضي لنقل محاصيله في فصل الصيف.

واستمر عمر بن القاضي في عدائه للسلطة حتى مقتله على يد أخيه بوكتوش* سنة 1618م، أين تشتتت العائلة بعده وهذا ما سنتعرّف عليه لاحقا[1]، لتواصل مسار الصراع والتحالف مع السلطة العثمانية، رغم انشقاق عائلة أولقاضي إلى فرعين، ففي سنة (1034هـ/1624م) أرسلت السلطة العثمانية حملة بقيادة خيضر باشا إلى منطقة كوكو عقب وفاة سلطانها عمر بن القاضي، تمكنت من خلالها اقتحام مركز القيادة العسكرية لهذه الإمارة ومكثت هناك إلى غاية(1044هـ/1634م) فخضعت لهم المنطقة خلال هذه الفترة الزمنية، فسيطروا على الأوضاع بشكل محكم، وذلك بمراقبة أسواقها وطرقها التجارية، واستغلال خيراتها، وكذا ضمان الاتصالات بين بايلك الشرق ودار السلطان[2].

وفي حوالي سنة 1720م عينت حكومة الجزائر ضابطا يدعى علي خوجة لمراقبة منطقة القبائل ولتثبيت الوجود التركي بطريقة دائمة في حوض سيباؤو. وكان هذا الضابط السامي رجل حرب وإداريا متميزا، فكان عليه فور وصوله إلى مقّر القيادة الجديد، مواجهة أهل عمراوة، ولعلّ القائد سي أحمد أو علي بكتوش كان آخر من تصدى بالسلاح، لاستيلاء الأتراك على وادي سيباو، واشتبك في معركة مع علي خوجة في ذراع بن خدة. وخرج التركي منتصرا في هذه المواجهة الأولى[3].

---

*- **بوختوش:** هو مصطلح يعني الرجل ذو الرمح بالأمازيغية- محمد الصغير فرج، مرجع سابق، ص34.

[1]- رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية ...، ص377،378.

[2]- زيدين قاسيمي، مرجع سابق، ص47.

[3]- محمد صغير فرج، مرجع سابق، ص37.

وبعد جولات عديدة حدثت معركة كبيرة ثانية بين القائدين في بو إلزازن الواقع في سفح جبل آل فروسن. ولكن الهزيمة التي ألحقها القائد التركي بمنافسه على أرض قبيلته كانت قد أنهت وجود أهل بكتوش في وادي سيباوو[1].

3- انقسام عائلة أولقاضي خلال القرن 17م:

لقد شهدت إمارة كوكو خلال القرن السابع عشر ميلادي صراعا داخليا نشأ عنه انقسام عائلة كوكو التي أصبحت تشمل على فرعين للعائلة: فرع بقي باسم آل القاضي والفرع الثاني: سمي ببكتوش أو بوختوش فما هي ظروف وزمن انقسام عائلة أولقاضي؟ وكيف انعكس هذا الانقسام على السلطة العثمانية؟.

لقد عرفت عائلة أولقاضي خلال القرن السابع عشر حكم عمر أولقاضي الذي نقل العاصمة إلى جمعة الصهريج، التي كانت تشهد ازدهارا اقتصادها، وإنتاج زراعي وافر لوفرة المياه ، وهذا ما جعلها تكتسب أهمية كبيرة في عهد أعمر بن القاضي[2]، الذي تم اغتياله سنة 1619م على يد أخيه أحمد بوختوش[3]، وهناك من يرجع سنة وفاته إلى سنة 1618م على يد أخيه أو حفيده، ومن الواضح أّنه لم يحدد بالضبط هوية من قتله[4]، وبذلك يعتبر عام 1619م انتهاء عهد الإمارة كوكو، والذي تعود فترة توليته الحكم إلى ما قبل 1591م، التي عرفت في بداية حكمه تردي العلاقات مع الترك. وقد حددت وثيقة الداوي ملكه بأنه يمتد حتى بني جناد، الذين ألف منهم دفع الضرائب والأعشار، والهبات منذ سبع سنوات[5]، وهي من ضمن القبائل التي عرفت الولاء والتبعية للسلطان عمر بن القاضي، الذي كان يسخّرها

[1]– محمد صغير فرج، مرجع سابق، ص37.

[2]– بن شيخ، مرجع سابق، ص334.

[3]– أحمد ساحي، مرجع سابق، ص59.

[4]– محمد الصغير فرج، مرجع سابق، ص34.

[5]– أحمد ساحي، مرجع سابق، ص59.

هي والقبائل المجاورة له في هذه المرحلة لخدمة[1]، مصالحه ومصالح جيشه، حيث أنّه كان يسخر هذه القبائل في فصل الصيف لخدمة هو وجيشه، فكانت من عاداته أن يأخذ بغال وحمير عرش القبائل، ومنهم قبيلة جناد في وقت الصيف لنقل زرعه والخدمة عليها، فيعطل على النّاس أشغالهم دائما[2]، فتسبب هذا في كرههم للإمارة التي استغلت الإمكانيات المتواضعة للقبائل لخدمة مصالحها الخاصة، وتأخذ منهم ضرائب وعوائد بحيث لم يبقى لهم شيء يدفعونه للزوايا الأخرى[3]، وهذا ما أثار غضب رجال الزوايا الذين كانوا يتمتعون بمكانة خاصة في المجتمع القبائلي، فراح بعضهم يحرض النّاس على عدم الاعتراف بسلطة أمراء كوكو، ونذكر هنا الدور الذي قام به سيدي منصور الجنادي وهو أحد مرابطي المنطقة[4] سنة 1519م ، فمنع كبراء بني جناد من تقديم الزيارة والعوائد لسلطان كوكو[5]، والمتمثلة في المنتجات الزراعية والعلف لخيل جيشه[6]، وذلك كان بعد أن ألف عمر بن القاضي الذهاب إلى سوق الخميس والمعروف اليوم بسوق الأحد يأخذ مئونته وعلف خيوله، بالإضافة إلى أخذه دوابهم لنقل مؤونته وعلفه فرسه لمقر إقامته، وذات يوم أتى عمر بن القاضي إلى السوق، فكان سكان المنطقة مسرعين لاستقباله، فأوقفهم سيدي منصور الجنادي وقال لهم: «لا تذهبوا للقائه أنتم بل أتركوه هو يأتي إلينا[7]، وما كان من سكان هذه القبيلة إلاّ الامتثال لقوله فلما يئس السلطان من قدومهم إليه، تعجّب من ذلك الفعل، وصار يسأل عن السبب الذي منعهم من الضيافة له كالعادة، فقيل له بأن سيدي منصور هو الذي أمرهم بالإمتناع

---

[1]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية ...، ص184.

[2]– أرزقي شويتام، فعاليات الملتقى الدولي...، ص17.

[3]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص184.

[4]– أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني1519–1830م، رسالة دكتورا في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2005–2006م، ص172.

[5]– أحمد ساحي، مرجع سابق، ص59.

[6]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية ...، ص185.

[7]–S. A.BOULIFA، op، cit، p201.

للقدوم إليه وتقديمهم الضيافة له[1]، فكان هذا بمثابة إعلان تحدي بين رجل الزاوية سيدي منصور وأمير إمارة كوكو عمر بن القاضي، فدخلا في صراع ساهم في إضعاف الإمارة[2]، خاصة بعد مقتل عمر أولقاضي سنة 1518م[3]، فتحررت بعده أجزاء من بلاد الزواوة من هيمنة الإمارة[4].

وفي ضل تأزم الأوضاع في الإمارة وتشتت أمور الحكم، دخلت شخصية جديدة في مسرح الصراع على السلطة تتمثل في بكتوش أو بوختوش، الذين استقروا بتامودا جمعة الصهاريج وواد الصومام[5]، وقد أثار هذا الفرع (بوكتوش أو بوختوش) مجموعة من التساؤلات والغموض، فلم نتأكد هل كانت هذه الشخصية فعلا من أهل ابن القاضي، أم أنّها تمثل فرعا جانبيا من الأسرة أو شخصا متسلطا كان يشغل منصبا كبيرا في ظل حكم عمار أولقاضي،[6] فلم يتمكن المؤرخون من إيجاد جواب مرض على هذه الاقتراحات والتي بقيت غامضة إلى يومنا هذا[7]، في حين هناك من يرجع نسب فرع بوختوش إلى السي حند بن السي عمر أولقاضي، والذي يدعى أيضا بالتونسي، وذلك لميلاده بتونس، بعدما نجحت والدته بالفرار إلى لتونس[8] ، حيث كانت حاملا بالصبي الذي سمّي بأحمد التونسي بن عمار آل القاضي بن بوكتوش، وكان من المحتمل أن يفصل سي أحمد بوكتوش الحرب ويكون أميرا لهم سنة 1035هـ، ومن هذا العصر والعائلة معروفة تحت اسم أولاد بوختوش المدعوون بأولاد

---

[1]– أرزقي شويتام، فعاليات الملتقى الدولي حول ممالك الأمازيغ في العهد الإسلامي بسكرة، أيام 01و02 ديسمبر 2010، ص17.

[2]– أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري ...، ص172.

[3]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص185.

[4]– أرزقي شويتام، فعاليات الملتقى الدولي...، ص15.

[5]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص185.

[6]– محمد الصغير فرج، مرجع سابق، ص ص34،35.

[7]– نفسه، ص34.

[8] – H.Genevois، légende des rois de koukou: sidi Amer ou-el qadi sidi hend le tunisien ouvrage numérisé par l'équipe de ayamun .com، mai، 2015، p44.

القاضي[1]، وبعد مضي فترة من الزمن على فرار زوجة عمر بن القاضي المقتول، تمكن ابنها من الرجوع إلى كوكو مع مجموعة من المؤيدين له، وذلك من أجل استعادة ملك والده المقتول[2]سنة 1619م[3]، فقام بنقل مقر إقامته من كوكو إلى أورير[4] وأوشلام منذ سنة (1046هـ/1636م) ببني غبري[5] إلى غاية 1893م، وهذا بعد توجيه خسرف باشا حملة ضد الإمارة سنة 1624م توغلت في جرجرة وصولا إلى عاصمة الإمارة كوكو التي بقوا فيها أكثر من 10 سنوات، بعدها استغل علي بتشين الظروف التي تمر بها الإمارة وعقد اتفاق مع زواوة لضمان أمن القوات مفضلا التعاون معهم على غرار ما فعله سلفه الحسن بن خير الدين وعلج علي[6]، وأدى ضعف سلطة بني القاضي إلى تسّيب الأمور وعدم انضباط العشائر والاتجاه نحو الفوضى[7]، وهذا ما أثر سلبا على مكانة الإمارة أوساط قبائل جرجرة، فتضعضعت هيبتها وخرجت عدّة قبائل عن طاعتها لاسيما القوية منها كبني جناد، وإفليسن وغيرها[8]، بالإضافة إلى تحالف أحمد بن عمر بن بوختوش مع السلطة التركية، التي قدمت له الدعم الضروري من أجل الإطاحة بابن القاضي، وقد تمكن العثمانيون بفضل هذا التحالف من دخول عدّة قرى كانت تابعة لإمارة كوكو.كما أن هذا التّقارب بين العثمانيين وبوختوش، كان سببا في تخلي بعض الأعراش عن طاعة آل القاضي في عدة أجزاء من

---

[1] –Robin joseph، la grande Kabylie sous le régime turc، présentation et notes de Alain Mahé 1999، p42.

[2]– زيدين قاسيمي، قيادة سيباو 1132هـ/1720م–1247هـ/1857م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006–2007، ص24.

[3]– أحمد ساحي، مرجع سابق، ص55.

[4] – Ernest Mercier، histoire de l’afrique septentrional (berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu’à la conquête française 1830، tone troisième، paris Ernest Leroux éditeur 28 rue Bonaparte، 1868، p234.

[5]– زيدين قاسيمي، قيادة سيباو ، مرجع سابق، ص24.

[6]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية، ص185.

[7]– محمد الصغير فرج، مرجع سابق، ص35.

[8]– زيدين قاسيمي، مرجع سابق، ص ص24،25.

منطقة القبائل[1]، فتعرضت الإمارة لضربات داخلية، وتناقص أنصارها وضعفت مواردها خصوصا بعد عام 1211هـ/1696م. وانحصر نفوذها في عدد من قبائل سيباو العليا[2]. كما شهدت أسرة بوختوش تقسيمات أخرى للأسرة وذلك كان بعد عودة أحمد التونسي سنة 1042هـ/1632م مع بعض الجنود، واستقر بآورير لاستعادة ما سماه حقه الشرعي وهو في سن 18، فحدث أن اشتد الخلاف والتفكك، الذي جعل الأسرة تتفرغ إلى فروع وهو ما يفسر تعدد مقرات الإمارة، أين ظهر سنة (1632-1757م) مقر أورير وأوشلام ومقر بنو جناد تامقوط وتامدة وآيت عوانة سنة (1696-1757م) وبنو سعيب وجمعة السحاريج والصوامع(1696-1765م) والأربعاء آيث ايراثن (1696هـ/1757م)[3]. وبعد وفاة أحمد التونسي انقسمت عائلة بوختوش إلى صفين: الصف الفوقاني بقيادة أورخو، والصف التحتاني بقيادة سي علي الابن الثاني لأحمد التونسي، حيث أنّ الصفان دخلا في حرب حقيقية، وهذا ما انعكست على المملكة التي لم تعد تستطيع السيطرة إلاّ على أعالي سيباو وقبائل الساحل البحري[4].

[1]- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري...، ص172.

[2]- زيدين قاسيمي، مرجع سابق، ص ص24،25.

[3]- رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص186.

[4]- صالح عباد، مرجع سابق، ص113.

الفصل الثالث

علاقة بني عباس بالسلطة العثمانية

- علاقة الود والتعاون بين بني عباس والسلطة العثمانية (1520-1554م).
- دخول إمارة بني العباس في صراع مع السلطة العثمانية (1554-1557م).
- عودة الصراع بين سلطان بني عباس والسلطة العثمانية سنة (1559-1590م).
- مصير عائلة بني عباس بعد فترة البايلربايات (1590-1800م).

IV. علاقة بني عباس بالسلطة العثمانية:

مرت علاقة بني عباس بالسلطة العثمانية بعدة مراحل ففي بداية الوجود العثماني لم تكن تربطهم أي علاقة، ومع ربط الجزائر بالدولة العثماني بدأت علاقة التعاون والتحاف مع بعضهم البعض، كما تخللت هذه الفترات مراحل عرفت اضطرابات ومواجه بين الطرفين، لتعود من جديد تعرف مرحلة من السلم والهدنة ومن خلال هذا الفصل سنتطرق لمعرفة مسير هذه المراحل وسبب تغير نوع العلاقة من فترة إلى أخرى:

1- علاقة الود والتعاون بين بني عباس والسلطة العثمانية (1520-1554م):

عرفت علاقة السلطة العثمانية مع بني عباس في بادئ الأمر بأنها علاقة لم تعرف المواجهة والحروب، حيث كانت بعيدة عن السلطة العثمانية ولم تكن تجمعهما أي روابط بين بعضهما البعض، خاصة وأن السلطة العثمانية في بداية تواجدها كانت متحالفة مع أمير إمارة كوكو عدو سلطان سلطنة بني عباس. لذلك تميزت بالسلم والحياد، حيث كانت منشغلة بالصراع الداخلي القائم بينها وبين إمارة آل القاضي، الذين كانوا موالين للأتراك والتي تميزت بالعداء الشديد والمنافسة فيما بينهم كما ذكرنا من قبل.

وهنا نكون في صدد مواجهة مجموعة من التناقضات خاصة في بداية الاتصالات الأولى للعباسيين بالسلطة العثمانية حيث يشير شارل أندري جوليان إلى أن أول اتصال بين بني العباس والعثمانيين يعود إلى سنة 1516م، وذلك كان بسبب تدخل عروج لفك الصراع القائم بين سلطان كوكو وبني العباس الذي قيل بأنه استطاع التدخل في الوقت المناسب لنصرة بني عباس من خلال تقديمه المدد والنصائح الغالية لهم[1].

1- شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص327.

وقد دعم هذا الرأي يحي بوعزيز في مؤلفه ثورة الباشاغا الذي أسند كذلك صلة المقرانيين بالعثمانيين إلى سنة 1516م، أي قبل الإلحاق الرسمي للجزائر بالدولة العثمانية فقد أسند هذا الأخير أن المقرانيين استعانوابالأخوين عروج وخير الدين اللّذين كانا يتمركزان في جيجل بمهمة تخليص بجاية من الإسبان وطردهم من أراضيها وسبب استعانتهم بالأخوين هو صراعهم الدائم مع سلطان كوكو الذي كان يسعى من أجل مد نفوذه إلى إقليم واد الساحل في شرق جبال جرجرة[1]، ويزيح بذلك منافسه بني عباس كي يضفر بكل المنطقة تحت نفوذه. إلا أنه ورغم وجود إشارة إلى أن بداية هذه العلاقة كانت في هذه الفترة (أي قبل إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية) إلا أن هناك من يرجع الصلات الأولى لاتصال بني عباس بالدولة العثمانية إلى فترة ما بعد استشهاد عروج 1518م والذي أعقب بتمرد آل القاضي سنة 1520م الذي استغل من خلاله المقرانيون فجوة الفراغ السياسي والعسكري الذيخلّفه منافسهم في الجوار أمير كوكو فربطوا صلاتهم بالأتراك وأعلنوا لهم الولاء. وكذلك لا يخفى علينا أن السلطة العثمانية كانت تدرك مدى أهمية هذه السلطنة وزعمائها حيث اهتمت منذ وصولها إلى الجزائر بسلطنة بني العباس وذلك للدور المهم والفعال الذي يمثله أصحاب هذه السلطنة، وقد عقد خير الدين حلفا مع إمارة بني عباس أصحاب القلعة، والتي تم بمقتضاها التحاف ضد آل القاضي فوجهوا عليه هجوما والذي استطاع بعدها الأتراك من استعادت مركز بمتيجة مما جعل أهل كوكو يريدون السلام وليتحقق لهم السلام قاموا بإرسال رأس ابن القاضي إلى الجزائر[2]، ولكن ورغم كل هذه الروايات إلا أنه تم الإشارة بأنه كان هناك عداء بين سلاطين القلعة والعثمانيين منذ أيام خير الدين الذي لم يستطع إخضاعهم لسلطته[3]، رغم إخضاعه لقسم من المناطق التابعة لسلطان القلعة إضافة إلى أنه كان متحالفا

[1]– يحي بوعزيز، ثورة الباشاغا...، ص46.

[2]– جون ب. وولف، الجزائر وأروبا 1500–1830، ترجمة وتحقيق الدكتور أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص39.

[3]– يحي بوعزيز، الموجز ج2...، ص38.

مع آل القاضي الذين كانوا في عداء مستمر مع بني عباس خاصة وأن خير الدين قام بتعيين آل القاضي واليا على القسم الشرقي من الجزائر، مما يعني ضمنيا أن عبد العزيز سوف يكون خاضعا لا محال إلى ألد أعدائه. وهذا ما جعل بعبد العزيز يعقد اتفاق مع الملك الحفصي بتونس ليثور على خير الدين[1]. ولكن عند انقلاب ابن القاضي على خير الدين انقلبت كل الموازين لصالح المقرانيين التي عرفت كيف تسد فجوة رحيل ابن القاضي الذي أعلن الثورة على البايلرباي خير الدين، فلب عبد العزيز نداء خير الدين من أجل التصدي لأمير كوكو وإخماد ثورته[2]، التي كان قد شرع في التخلص منها ببلاد القبائل من خلال إرسال حسن قارة الذي تمكن من طرده إلى الجبال. لكن هذا لم يكن كافيا للتخلص من أمير كوكو، الذي استطاع فيما بعد من مواجهة خير الدين واستيلائه على مدينة الجزائر[3]، والأمر الذي ساعد ابن القاضي هو الدعم الذي حضي به من طرف السلطان الحفصي بتونس والذي كان يسعى من أجل التخلص من خير الدين وهذا ما جعل خير الدين ينسحب إلى قاعدته البحرية القديمة بجيجل ويمكث فيها لمدة ست سنوات تقريبا[4]، فما كان من خير الدين إلا أن يستنجد بالسلطان عبد العزيز للتخلص من ثورة آل القاضي، واسترجع بعد ذلك مدينة الجزائر سنة 1527م وطرده منها[5].

ومن خلال ما سبق نستخلص أن بداية علاقة التحالف والتعاون بين السلطة العثمانية وسلطنة بني عباس كانت بعد تمرد سلطان كوكو ابن القاضي الذي جعل من خير الدين يتودد وطلب العون من بني عباس، الذين لبوا النداء وأعلنوا له الولاء،[6]وقد أصبحت العلاقة

---

[1]- محمد دراج، مرجع سابق ، ص347.

[2]- نفسه، ص347.

[3]- عمار عمورة، الموجز...، ص90.

[4]- يحي بوعزيز، الموجز ج2...، ص ص17،18.

[5]-نيقولاي اقانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574، نقله إلى العربية يوسف عطا الله، راجعه وقدم له مسعود ضاهر، ط1، سلسلة: تاريخ المشرق العربي الحديث، دار الفرابي-بيروت-، شركة المطبوعات اللبنانية، 1988، ص106.

[6]- محمد دراج، مرجع سابق، ص347.

تعرف تعاونا وتحالفا متبادلا بين الطرفين أكثر مما سبق، وذلك كان بعد سنة1535م[1]، لّما غادر خير الدين مدينة الجزائر إلى اسطنبول في صيف عام (940هـ/1533م)، لتولي قيادة الأسطول العثماني[2] في حين يرجع ملود قايد رحيل خير الدين إلى اسطنبول سنة 1534م[3]، وتم استدعائه إلى القسطنطينية من أجل تعيينه قبودانا* للأسطول العثماني[4]، لكن وقبل رحيله قام بتعين نائب عنه في حكم الجزائر وهو حسن آغا (1533م-1544م) الذي واصل جهود خير الدين في توحيد البلاد وإقرار الأمن[5]، ومن ثمة ابنه حسان باشا(1544-1551م) كما انه وبالإضافة إلى هذين الخليفتين تم حكم حاجي بكر الذي استخلف الحكم مدة ثمانية أشهر وهي الفترة الفاصلة بين حكمي الخليفتين حسان آغا وحسان باشا اللذين كانوا يسيرون تحت إشراف خير الدين[6].

وبعد وفاة حسان آغا تولى الحكم بعده حسان باشا ابن خير الدين الذي تولى منصبه هذا رسميا سنة 1544م[7]، وفي هذه الفترة كانت السلطة العثمانية في عداء مع آل القاضي وهذا الأمر الذي جعل من بني العباس يتقربون ويعقدون المودة مع حسان باشا[8]، فتحالف مع عبد العزيز أمقران**.

---

[1]- يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص141.

[2]- نصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص30.

[3]- Mouloud Gaid، les berbers dans l'histoire lutte contre le colonialisme، Tome 3، editions mimouni، p22.

* **قبودان** هو مصطلح يعني قائد الأسطول- يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص152.

[4]- يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص141.

[5]- نصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر...، ص30.

[6]- يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص141.

[7] -Mouloud Gaid، op، cit، p22.

[8]- مارمول كربخال، مصدر سابق، ص385.

** **أمقران:** تعني في البربرية الأكبر أو البكر. ومقراني هي العرق العربي لأمقران، ويطلق عليها الأهالي: مقراني، المقرانية وحتى أولاد مقران، غير أنّ الاستعمال الفرنسي احتفظ بلفظة مقراني في صيغة المفرد، كما في حالة الجمع- لويس رين، تاريخ انتفاضة 1871 في الجزائر، تر مسعود حاج مسعود، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 20013، ص20.

ويقال أنه تزوج ابنته، وهذا التحالف الذي جعله يحارب إمارة آل القاضي مع حسان باشا[1].

وبفضل هذا التحالف تمكن حسان باشا من تحقيق انتصارات عظيمة ولاسيما في تلك المعركة التي توفي فيها مولاي عبد القادر ابن الشريف عندما توجه حسان باشا لفتح تلمسان[2]، حيث استعان "حسان باشا" "بعبد العزيز" في كل عملياته بتلمسان ومستغانم، فقد قام خلالها بتدعيمه بألفين (2000) من فرسانه الذين كانوا يحاربون في مستغانم تحت قيادة "حسن قورصو" بمساعدة "قايد سفير" و"علي صاردو" ضد جيش المغرب[3]، الذي استولى على تلمسان بقيادة ابن الشريف مولاي عبد القادر، بعدما تمت الاستعانة به من طرف سكان مستغانم، وذلك من أجل التصدي للحملة الاسبانية التي كانت بقيادة الكونت دالكوديت، الذي تمكن من احتلال مسرغين والاستحواذ عليها، متوجها بعد ذلك نحو مستغانم، التي تم تحريرها من طرف حسان باشا، الذي اضطر بعد وفاة والده خير الدين بالانسحاب عن محاصرة وهران والعودة إلى الجزائر من أجل التصدي لأي تمرد قد يحدث مثلما حدث في فترة حكم والده[4]. لذلك قرر دالكوديت محاولة احتلالها مرة أخرى مستغلا فرصة انسحاب حسان باشا إلى الجزائر لكن دون جدوى، وذلك لما لقيه من مقاومة شرسة من المستغانميين الذين تدعمت صفوفهم بانضمام 25000 أندلسي لجئوا إلى تلمسان لمد يد العون لها باسم الجهاد، والتي تم بفضلها من اضطرار الكونت دالكوديت إلى الانسحاب بعد أن مني بخسائر فادحة[5].

---

[1] ـMouloud، Gaiad، op، cit، p22.

[2]– مارمول كربخال، مصدر سابق، ص385.

[3] ـ Mouloud Gaid، op، cit، p22.

[4]– ـيوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص149.

[5]– نفسه، ص149.

وقد تم استعانة مولاي الشريف من طرف أهل تلمسان الذين ضنوا بأن حسان باشا انسحب خوفا من مواجهة الإسبان له فراحوا يطلبون الإغاثة منه حتى يستطيعوا مواجهة الخطر الاسباني. لكن هذا السلطان استغل هذه الفرصة لتوسيع مملكته على حساب مستغانم[1].

وعندما سمع حسان باشا ما جرى لمستغانم من طرف ملك فاس الذي كان قد أبرم مع خير الدين في سنة 1550م معاهدة تنص بتوحيد قواتهما لطرد الإسبان من تلمسان. ويكون هنا قد أخلف بوعده لخير الدين[2]. فقام حسان بن خير الدين بتوجيه حملة عسكرية في نفس العام من سنة 1550م ضد سلطان المغرب الأقصى من أجل إنقاذ تلمسان،[3] من قبضة شريف فاس مولاي عبد القادر بتحالفه مع سلطان بني العباس عبد العزيز[4]، فتوجه بجيش يتكون من 5000 تركي انضم إليه عبد العزيز سلطان بني عباس على رأس 1000 فارس و8000 جندي بربري[5]، وقد سار عبد العزيز وجنوده في جيش الأتراك مع حسان بن خير الدين فتبين لعبد العزيز تردد حسان باشا، فخاطبه غاضبا:« أيها السيد حسان أبهذا تشكر الأمير على ما يعطيه إليك من أجر جزيل لكونك قد ابتعت عن الجزائر حيث اعتدت أن تختال في كسوة من الذيباج المحلى بالذهب؟»، ولما تبين له أن ذلك العتاب لا يؤثر فيه بتاتا حرض رجاله وهاجم الشريف وهزمه[6]، بعد أن خاض في صراع معهم في معركة جمعت بينهم والتي تم فيها قتل مولاي عبد القادر من قبل عبد العزيز، الذي بتر رأسه عن جسده وعاد به إلى الجزائر، حيث دفن تحت قبة عند باب من الأبواب القديمة لمدينة باب

---

[1]- يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص ص150،149.

[2]- نفسه، ص150.

[3]- يحي بوعزيز، ثورة الباشاغا...، ص46.

[4] -A.Berbrugger، op،cit، p80.

[5]- يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص150.

[6]- مارمول كربخال، مصدر سابق، ص ص 386،385.

عزون[1]، وتمكنت السلطة العثمانية بعد هذه الحملة والتي كانت عام 1552م عن نصر مبين شهد نهاية الدولة الزيانية في تلمسان وإلحاق أراضيها بممتلكات دولة الجزائر[2].

وبعد هذا النصر الذي حققه السلطان عبد العزيز، أدى إلى نشوب حزازات أو تنافر بينه وبين حسان باشا[3]. وقد قام عبد العزيز بعد عودته من معسكر بأخذ 200 فارس من أهل هشام وتجنيدهم لحراسته الشخصية الذين أصبحوا يقطنون منطقة مجانة بالسكن ومنح لهم الأراضي، وأصبح يستغلهم في كل المعارك والشيء الذي جعله يستعين بهم في معاركه هو وفاؤهم له حيث بقوا مخلصين له ولعائلته[4]. وكان سبب نفور حسن باشا مع عبد العزيز هو النصر الذي حققه باسترجاع تلمسان دون مشاركته هو وجيشه في المعركة[5]،

لكن هذه النفرة بينهم لم تتطور إلى صراع يعقب عنه إعلان الحرب فيما بينهم. وبما أن الأمور كانت تسير على هذا النحو تم ذهاب حسان باشا إلى تركيا وخلفه على تسيير بلاد الجزائر صالح رايس الذي كان يعرف ويدرك مدى أهمية حليفهم عبد العزيز[6]، فوثّق صلاته به حيث قام بمرافقته في حملته إلى الجنوب الجزائري سنة 1552م، التي وصلت إلى تقورت وورقلة[7]، (وركلا) وهما من مدن نوميديا الثائرة[8]، اللّتان ثارتا فور اعتلاء صالح رايس حكم الجزائر ضنا منهم أن بعد المسافة الذي يربط ورقلة وتقورت عن الجزائر، ورفضهما الاعتراف بالوالي العثماني، أنه لن يجرؤ على أن يغامر بنفسه وبجنوده في صحاري لا يعرفها وبذلك يستطيعان الاستقلال عن الحكم العثماني.

---

[1] – A.Berbrugger، op، cit، p81.

[2] ـ يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص150.

[3] ـ مارمول كربخال، مصدر سابق، ص386.

[4] ـ Mouloud Gaid، op، cit، p22.

[5] – يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص151.

[6] ـ مارمول كربخال، مصدر سابق، ص386.

[7] ـ عبد القادر فكاير، مرجع سابق، ص137.

[8] – مارمول كربخال، مصدر سابق، ص 386.

لكن صالح رايس كان يدرك ما مدى أهمية النجاح في هذه الثورة إذ ستكون بمثابة امتحانه الأوّل في الجزائر ويجب عليه أن ينجح في قمعها[1]

لذلك قام بالتوجه إلى هاتين المدينتين يقود جيشا يتكون من ثلاثة آلاف (3000) من الجنود المشاة المجهزين بالبنادق مابين تركي ومسيحي مرتد وألف (1000) من الفرسان وثمانية آلاف (8000) من العرب، وكان بنو عباس مائة وثمانين (180) من المشاة الحاملين للبنادق وست عشر مائة من الفرسان، وقد اصطحبوا معهم ثلاثة من المدافع وكثيرا من المؤن والذخائر المحمولة على الجمال[2]، وقد تمت هذه الحملة وفقا للمعاهدة التي تربط بني عباس بالعثمانيين والتي تم إبرامها فيما بينهم سنة 1529م، والتي احتوت على بند التحالف الدفاعي الهجومي بين الجبهتين[3]. فقد تمكنت هذه الحملة بالوصول إلى توقرت وتيقنوا التي امتنع أهلها عن الاستسلام والخضوع للسلطة العثمانية فقام صالح رايس بمرافقة عبد العزيز له بتصويب فوهة المدافع نحوها، فتمكنوا من اقتحامها عنوة واستباحتها للنهب، وقتل جميع من كان فيها[4].

أما ورقلة (وركلا) فقد تم افتتاحها دون مقاومة فقد قررت الاستسلام بدل المقاومة[5]، كما تم فرض دفع إتاوة على قائديهما[6]. وبعدها عاد الأتراك إلى الجزائر[7] بقيادة صالح رايس مزهوا بانتصاره، تطوف بذهنه أحلام عديدة تتصل بما يمكن أن يدره عليه هذا الانتصار على الجنوب أمام السلطة التركية في الجزائر[8] محملا بالغنائم بعد أن ترك حاميات في

---

[1]– مبارك بن محمد الهلالي الميلي، ج3 ...، ص81.

[2]- مارمول كربخال، مصدر سابق، 386.

[3]– يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص ص 153،154.

[4]– مارمول كربخال، مصدر سابق، ص386.

[5] –H. D. Grammont، op، cit، p78.

[6]– مبارك بن محمد الهلالي الميلي، ج3...، ص81.

[7]-مارمول كربخال، مصدر سابق، ص386.

[8]-مبارك ابن محمد الهلالي الميلي، مرجع سابق، ص81.

حصون هاتين المدينتين العتيقتين اللتين لا تستطيعان الدفاع بوسائلهما الخاصة[1]. واستطاع صالح رايس بعد هذه الحملة وبمساعدة بني العباس من إخضاع ملك توقرت وورقلة[2]، والحصول على غنائم معتبرة عادوا بها إلى مقر سلطتهم، والتي قدرة بخمسة عشر(15) جملا محملا بالذهب وخمسة آلاف (5000) من العبيد، السود من كلا الجنسين (ذكور،وإناث)[3]، مع دفع جزية سنوية للسلطة العثمانية من طرف الملكين لمنطقة الجنوب[4]، الذين كانا يريدان الحرية عن السلطة العثمانية دون دفع أي شيء لها. وهذا ما جعل بصالح رايس عند وصوله إلى الجزائر يعلن ديوان خاص لكي يخضع كل القبائل إلى الطاعة خاصة الاعتراف بقوانين عرشه[5].

2- دخول إمارة بني العباس في صراع مع السلطة العثمانية (1554-1557م):

لقد عرف تحالف السلطة العثمانية وإمارة بني العباس تحقيق مجموعة من الانتصارات ما كانت السلطة العثمانية أن تحققها لو لم يمدها بنو العباس يد العون والتحالف. فقد تمكنوا من استرجاع تلمسان بعدما حاول مولاي عبد القادر المغربي الاستحواذ عليها حيث تم استرجاعها دون تدخل القوى العثمانية مع عبد العزيز وهذا ما نتج عنه تنافر بينه وبين حسن قورصو[6]، كما أن هذه الانتصارات استمرت حتى فترة حكم صالح رايس الذي استطاع إخضاع توقرت وورقلة إلى سلطة الدولة العثمانية ودفعها للجزية بعد تمردها عليها ورفضها دفع الجزية السنوية التي ما استطاع تحقيقها لولا مساعدة ونصيحة سلطان بني عباس له[7]، الذي رأى بأنه لم يوفّى حقه من الغنائم التي حصل عليها صالح رايس

---

[1]- مارمول كربخال، مصدر سابق، ص386.

[2]- يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص155.

[3] - H.D. Grammont، op، cit، p78.

[4]- مارمول كربخال، مصدر سابق، ص386.

[5] - Mouloud Gaid، op، cit، p23.

[6]-يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص155.

[7] - A.Berbrugger، op، cit، p82.

خلال حملته الأخيرة إلى الجنوب[1]، كما أنه طلب من صالح رايس أن يخضع له المنطقة الممتدة من بسكرة إلى المسيلة[2]،

فتراجع صالح رايس على هذا القرار وقام بنصب جيش في المسيلة، زمورة، وحمزة (البويرة)* [3]، وكانت بذلك القطرة التي أفاضت الكأس والتي نجم عنها خروج سلطان بني عباس عبد العزيز عن طاعة وولاء السلطة العثمانية. بالإضافة إلى خوف صالح رايس من السلطان عبد العزيز وجعله يحطاط منه، خاصة بعدما أتى ب 200 من فرسان هاشم، وخوضه الحرب لوحده عندما استرجع تلمسان، فمنذ ذاك الوقت نشبت بينهم حزازات وتصدعات لم تعقب أثرها عن الحرب بل أجلتها حتى بعد عودت حسان باشا المدينة الجزائر وكان معه بها في غياب صالح رايس بعض العرب من أتباع الترك وقد كتب، حيث كتب إلى صلاح رايس يخبره بأن صاحب جبل بني عباس يضمر العصيان وإثارة البلاد وأنه تلقى الخبر بذلك من العرب الموالين للأتراك[4]، فقام البايلرباي صالح رايس باستدعاء الأمير عبد العزيز إلى الجزائر العاصمة على أمل القبض عليه بعد أن استأمنه على حياته[5]، وكان سّيد بني عباس ذات يوم مع صالح رايس في محلته وهناك أسّر إليه بعضهم أن التدبير جار للقبض عليه، فما كان إلاّ أن فّر على متن فرس متجها إلى جباله، وبدأ هناك في إقامة

---

[1]- عبد القادر فكاير، مرجع سابق، ص137.

[2]-فريدة مؤنسة، مصدر سابق، ص29.

***مدينة سوق حمزة (البويرة):** تعتبر مدينة سوق حمزة من أهم المدن الداخلية التي قانت على أرض زواوة وقد اختير لها سهل فسيح يعرف بوطا حمزة.

ينسب تأسيسها حسب الروايات التاريخية إلى حمزة بن علي بن الحسن بن سليمان بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد أكد اليعقوبي (286هـ/888م) من جهته على هذا النسب وأضاف، بأن أول المدن التي ملكها الحسن بن سليمان هي هاز (وهي تمثل مدينة عين يوسف في وقتنا الحالي، وهي على شكل عيون ومجاري مائية بينها وبين المسيلة مجاري مائية) وإليها ينسب البلد، وقد كان له من البنين حمزة وعبد الله وإبراهيم وأحمد ومحمد والقاسم وكلهم أعقب- مفتاح خلفات، مرجع سابق، ص ص 126،127.

[3] – Mouloud Gaid، op، cit، p23.

[4]– مارمول كربخال، مصدر سابق، ص386.

[5]– يحي بوعزيز، الموجز ج2...، ص38.

الحواجز والتحصينات، ثم أعلن الحرب على الأتراك وعندما علم بذلك صالح رايس أخذ في الاستعداد والاحتياط مخافة أن يؤدي انتفاض هؤلاء الأفارقة المشهورين بقدراتهم القتالية إلى ثورة عارمة في جميع البلاد[1]، وفعلا قد حدث ما كان متخوفا من حدوثه، فقد نشبت الحرب بين السلطة العثمانية بقيادة صالح رايس وسلطان بني عباس عبد العزيز الذي أعلن الحرب على صالح رايس بعد فراره من قصر الجنينة[2] وكانت بذلك بداية المعارك بين الطرفين، حيث قرر صالح رايس أن يسير إلى السلطان عبد العزيز رغم أن الفصل لم يكن مناسبا لأنه لم يمضي وقت طويل على انتصاره في الجنوب برفقته، فالتقى صالح رايس بفرق عبد العزيز التي كان يقودها أخوه الفاضل في جبل بوني، وكان النّصر عندها حليفه فقد قتل فيها الفاضل. لكن هذه المعركة رغم انهزام فرق الزواوة منعت صالح رايس من التوغل أكثر من ذلك في بلاد القبائل[3]، وذلك بسبب سقوط ثلوج كثيرة منعته من تحقيق النصر الكامل وإخضاع منطقة الشرق الجزائري، وبعد انسحابهم فكر صاحب جبل بني عباس في تحصين الطرق وفي إعادة بناء قلعة بني عباس التي كان ينطلق منها للإغارة على الموالين للأتراك[4].

كما عمل أيضا على استمالة سكان المناطق المجاورة للقلعة[5]. وعظمت بذلك شهرته فخطبت وده بعض القبائل المجاورة لما أنست منه من قدرة على مقاومة الأتراك[6] وبحلول فصل الربيع وجه صالح رايس ابنه على رأس جيش يتكون من[7] ألف(1000) جندي

---

[1]- مارمول كربخال، مصدر سابق، ص ص 386،387.

[2]- يحي بوعزيز، الموجز ج2...، ص38.

[3]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، ج3...، ص82.

[4]- مارمول كربخال، مصدر سابق، ص387.

[5]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، ج3...، ص82.

[6]- مارمول كربخال، مصدر سابق، ص387.

[7]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، ج3...، ص82.

مسلحين بالبنادق وخمسمئة (500) صبايحي وستة آلاف (6000) فارس عربي[1]، وكان قصده مهاجمة قلعة بني عباس ولذلك عسكر في بوني* التي تبعد عنها بما يزيد قليلا عن فرسخ واحد، وأراد صاحب الجبل استدراجه حتى يتمكن من احتوائه وعلم التركي بذلك الأمر البّين فانسحب ليلا إلى السهل فخرج إليه صاحب الجبل والتحم الجيشان في قتال مات فيه عدد من جنود الطرفين ولولا نجدة العرب لحاقت بالأتراك هزيمة منكرة ولانسحبوا بعد ضياع سمعتهم وعدد من رجالهم[2]. فبعد هذه الهزيمة تأهب صالح رايس للقيام بحملة في المغرب الأقصى لإشفاء غليله في التوسع على حساب جبال ملوية التي تشكل الحدود الغربية لمملكة تلمسان سابقا[3].

فأستغل الأمير عبد العزيز انشغال الأتراك بحملتهم التي كانت في المغرب الأقصى، ليحقق انتصارات عدة ضد الحاميات التركية حتى أصبح سيد الحضنة والبيبان** ففرض الرسوم على السلع المارة بأبواب الحديد الواقعة على الطريق بين قسنطينة والجزائر[4].

لكن صالح رايس لم يترك أمر السلطان عبد العزيز دون فرقة حربية لكي تتصدى له لّما توجه إلى المغرب ، فقد عهد إلى سنان رايس وهو كورسيكي وقايد رمضان من اليونان، قيادة الحملة ضده بفرقة حربية ضئيلة بسبب مغادرة صالح رايس مدينة الجزائر إلى المغرب الذي كان في بداية جانفي من عام 1554م، فلم تكن له فرقة كافية يتركها لمواجهة سلطان

---

[1]- – يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص157.

*- **بوني:** تقع على بعد أكثر من فرسخ من غرب القلعة (سبع كيلومترات)

[2]- مارمول كربخال، مصدر سابق، ص387.

[3]– يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص159.

** **البيبان:** هي عبارة عن سلسلة جبلية تحد منطقة القبائل من الجنوب وتربط بين جبال جرجرة غربا وجبال الحضنة والبابور شرقا. يحي بوعزيز، دائرة الجعافرة تاريخ وحضارة وجهاد، دار جمومة، الجزائر، 2002م، ص25. تحتوي على عدة خوانق وقمم جبالية تغطيها صخور كلسية. بالإضافة إلى هذا كله فالمنطقة تشمل نطاق ساحلي يمتد من واد الصومام غربا إلى وادي الكبير شرقا ويمر على كل من بجاية وجيجل وفي هذه الأخيرة تتقاطع المرتفعات مع السواحل البحرية لتشكل منحدرات حادة يطلق عليها les corniches kabyles– عبد القادر حلمي، جغرافية الجزائر دراسة تطبيقية وبشرية واقتصادية، مطبعة الشركة الوطنية الجزائرية، 1968، ص49.

[4]– صالح عباد، مرجع سابق، ص ص 75،76.

بني عباس، إلاّ فرقة تتكون من 400 تركي و150 صباحي، مدعما بألفين وخمسمائة عربي، عهد إليها أمر مجابهة زعيم بني عباس خاصة لما بلغهم دفع جماعة الجنوب الجزية لعبد العزيز[1] فخرجوا إليهم عن طريق مسيلة بقصد دفع الغارة عن هذه الإمارة.

ولّما سمع عبد العزيز بقدوم هذه الحملة قام بجمع عساكره ولقي الأتراك عند ضفة أحد الأنهار(حمان أوهمان) فهزمهم ولم يعط أمانا لأحد بل قتل الجميع ولم ينجو سوى رئيسين فرا بأقصى ما يمكن من السرعة حتى وصلا إلى مسيلة أما العرب فقد أمسك سلطان بني عباس عن قتلهم بل اكتفى بتجريدهم من متاعهم[2]. وقد راح ضحية هذه الحروب العديد من الأرواح لكلا الطرفينن، فاكتفت بذلك السلطة التركية بتدعيم حامياتها في زمورة والبرج والمسيلة والبويرة التي كانت قد انسحبت من أماكنها بسبب قساوة الحروب والمعارك[3].

فلم ينتهي الخلاف بين الطرفين إلّا في إطار الحرب ضدّ الاسبان في بجاية، بعد أن دعا صالح رايس إلى الجهاد ضد الإسبان عن طريق العلماء والمالكيين والحنفيين، واستعان بعلماء ووجهاء منطقة بني عباس لتحقيق المصالحة مع الأمير عبد العزيز، الذي اشترط الاعتراف له بالسيادة على المناطق التي هي تحت السلطة العثمانية، بما فيها الحضنة ومسيلة، والاعتراف له بفرض الرسوم على معبر أبواب الحديد في البيبان على كل تجارة مارة بها بما فيها تجارة الأتراك أنفسهم، وبهذه الشروط تم انضمام عبد العزيز لصفوف الجهاد ضد الإسبان مع قوات صالح رايس[4].

وفي بداية عام 1555م قام صالح رايس بمواجهة الخطر الاسباني بدل بقائه يخوض الحروب مع سلطان القلعة، فشرع في طرد الإسبان من بجاية[5] واستطاع تحريرها،

---

[1]– يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص159.

[2]– مارمول كربخال، مصدر سابق، ص387.

[3]– فريدة منسية، مصدر سابق، ص29.

[4]– صالح عباد، مرجع سابق، ص75،76.

[5]– Mouloud Gaid، op، cit، p23.

وتخليصها من الإسبان، ووضع بها حامية عسكرية تتكون من 600 رجل تحت قيادة ضابط تركي[1].

فلّما رأى عبد العزيز انتصارات صالح الرايس التي كانت بتحرير بجاية وإخضاع سلطان المغرب الأقصى، أصبح متخوفا منه ومن قوته، فجمع ما استطاع من الرجال وتحصن في جباله توقعا لأي مواجهة مع الأتراك[2].

3- مرحلة السلم والهدنة (1557م-1558م):

لقد حضي السلطان عبد العزيز بالسلم لعدة سنوات حسب ما ذكره رين، وذلك كان منذ آخر معركة دارت بينه وبين سنان رايس ورمضان سنة 1554م والتي منية بالخسارة لهم، حيث أنّه لم تشهد أيّ مواجهات بين الطرفين بعد هذه المعركة. وبعدها استغل عبد العزيز، بمساعدة شقيقه أحمد أمقران ، فترة السلم هذه لتعزيز جيشه وحصل على سلاح المدفعية وجّند ميلشيات مسيحية قوامها ألف (1000) من المرتزقة الإسبان الذّين نجوا من الموت في بجاية يوم احتلها صالح رايس سنة 1555م.

كما أنه كان قد وضع خطة للاستيلاء على بجاية، فأصبح في شهر جوان 1557م على أتم الاستعداد لتنفيذ مشروعه[3]، وفي الوقت الذي كان يتهيأ لاسترجاع بجاية ويخوض مواجهتا مع صالح رايس ليفتك منه بجاية حتى أتاه خبر وفاة صالح رايس، والذي أعقب عنه تعيين حسان قورصو من طرف الانكشاريين الذين اختاروه خليفة عليهم[4] .

وبعد عودة حسن بن خير الدين للمرة الثانية (1557م-1561م)[5] تغيرت الأوضاع من مواجهة وحروب إلى هدنة وسلام، وذلك للعلاقة الجّيدة التي جمعت بين حسن بن خير الدين

---

[1]- فريدة منسية، مصدر سابق، ص29.

[2]- مارمول كربخال، مصدر سابق، ص388.

[3]- لويس رين، مرجع سابق، ص18.

[4]- يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص163.

[5]- شدري معمر رشيدة، ، السلطة الروحية...، ص358.

و سلطان بني عباس[1]، فقد بادر هذا الأخير سنة 1557م بأن أرسل إليه هدية لتجديد الصلح والصداقة[2] احتراما للميثاق الذي أبرم فيما بينهم سنة 1529م[3].

وكان من الحسن بن خير الدين أن أعطاه جباية المسيلة و03 مدافع، كان قد تركها صالح رايس ، فاستطاع بعد ذلك أن يجمع جيشا يتكون من (6000) رجل لتحصيل الضرائب من القبائل المجاورة في مسيلة، والتابعة للسلطة العثمانية، وهم ولاد معادي وولاد سليمان، وولاد سعدي، وولاد يحي[4].

لكن هذه الهدنة أو فترة السلم التي حضي بها الطرفان لم تكن بالفترة الطويلة، فلم تتعدى السنة حتى تعود الأوضاع إلى الاضطراب والمواجهات[5]. فقد كان سلطان بني عباس حذرا في تعامله مع حسن بن خير الدين، حيث أنه أرسل له الهدايا مع مبعوثين من طرفه لأنه لم يجرؤ على القدوم إلى الجزائر ويقول مارمول بأّن الوفاق بينهم لم يتعدى السنة، التي قام خلالها البايلرباي حسن بن خير الدين برد جميل السلطان عبد العزيز معه[6].

4- عودة الصراع بين سلطان بني عباس والسلطة العثمانية سنة (1559-1590م):

فبعد أن وصل حسن باشا إلى الحكم شرع في تنظيم صفوف الجيش الانكشاري وتسوية أوضاعهم[7]، كما أّنه بلغ على مسامعه استيلاء الشريف السعدي على تلمسان، الذّي استغل الأوضاع المضطربة في الجزائر، فهجم على تلمسان وانتصب بها القائد منصور الذي عّين

---

[1]- مارمول كربخال، مصدر سابق، ص388.

[2]- شدري معمر رشيدة، السلطة الروحية...، ص358.

[3]- يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص166.

[4] -A.berbrugger، op، cit، p92.

[5]- يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص166.

[6]- مارمول كربخال، مصدر سابق، ص388.

[7]- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، مرجع سابق، ص91.

حفيده ملكا عليها[1]. فقام فور وصوله إلى الجزائر بتجهيز حملة تتكون من (6000) تركي أو علج، سار بهم برا بينما أرسل المدفعية بحرا مع (3000) جندي على متن (40) قطعة بحرية. وفي طريقه إلى مستغانم التحق به (16000) من المشاة والخيالة[2]، لكن السلطان المغربي لّما سمع بقدوم هذه الحملة تخوف من مهاجمتها لحدوده فانسحب نحوها ترقبا لهجوم محتمل يشنه حسان باشا على مملكته[3]. ، الذي لم يغفر له تمرده هذا، فقام بملاحقته عقب انسحابه وبحيلة مدبرة منه، اغتيل السلطان المغربي في حملة من حملاته بالأطلس، وحمل رأسه إلى استانبول[4].

وما كاد حسان باشا ينهي التهديد الآتي من المغرب حتى وجد نفسه في مواجهة مع الكوديت الذي شرع في مسيرته للهجوم على مستغانم في (22 أوت 1558م)[5] فالتحم مع جيش حسن باشا، الذي انتصر على جيشه، وقتله. فاستطاع من خلال هذا الانتصار بالقبض على(12000) أسير[6].

و في سنة(966هـ/1559م) قام حسان باشا بالتّوجه هو وجيشه إلى النّواحي الشرقية التي يمتلكها عبد العزيز، فاستولى منها على مدينة المسيلة، وبنا بها حصنا ببرج بوعريريج وآخر بزمورة، وذلك للمحافظة على سطو الأتراك بالمنطقة الشرقية، وخلّف بها حامية تتكون من 400 جندي، ثم غارها متوجها إلى بلاد حمزة (البويرة)[7]. كما أنّ حسان باشا كان متخوفا من السلطان عبد العزيز الذي كان متمركزا في هذه المنطقة، ويسيطر على سهل مجانة الفسيح، والذي يستطيع من خلاله أن يتحكم في الطريق بين عاصمة الشرق

[1]– مبارك بن محمد الهلالي الميلي، ج3...، ص92.
[2]– صالح عباد، مرجع سابق، ص84.
[3]– يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص166.
[4]– صالح عباد، مرجع سابق، ص84.
[5]– مبارك بن محمد الهلالي الميلي، ج3...، ص94.
[6]– يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص167.
[7]– عبد الرحمان الجيلالي، ج3...، ص92.

الجزائري، قسنطينة وبين الجزائر، وبالتالي فهو يتحكم في الطريق بين الجزائر وتونس، وهنا تكون السلطة التركية فقدت الشرط الأساسي الذي يضمن استمرار نفوذها على الشرق الجزائري[1].

وقد حاول حسان باشا إخضاع السلطان عبد العزيز بالقوة لكنه لم يستطع، فحاول استمالته بطريقة أخرى[2]، إذ تقدم له يطلبه ابنته للزواج بها، فرفض عبد العزيز طلبه، في حين قبل ملك كوكو طلب مصاهرته[3]، وهو العدو الألد لبني عباس[4]، وكان بذلك عودة اشتعال فتيل الحرب بينه وبين عبد العزيز[5]، خاصة وأن هذا الأخير كان قد تعدى على الحاميات التركية بزمورة وبرج بوعريريج، وأسر ما بها من جنود[6]. فقام حسان باشا هو وحليفه ملك كوكو بجمع قوتهما والسير بها بمحاذاة نهر بجاية في الاتجاه المعاكس لجريانه وأخذا يفسدان أراضي صاحب الجبل[7]. فما كان من عبد العزيز إلّا الخروج إليهما ويرد عليهما الهجوم، فخرج على رأس 4000 رجل مسلح بالبنادق، و500 فارس إلى ناحية قرية تدخل ضمن حدوده(المرجّح أنّها تالزة) وقام يشيد بها حصنا[8]، وحفر خندقا يقطع الطريق[9]. في حين كان حسان باشا يسير نحوه هو وجيشه المتكون من 3000 تركي من المشاة، و500 من الجنود يمتطون الجياد، مع 200 فارس من العرب، وكان معه شيخ مملكة كوكو بفرقة تتكون من 1500 جندي[10]. فكانت المواجه بين الطرفين عنيفة وطويلة، قاتل عبد

[1]– مبارك بن محمد الهلالي الميلي، ج3...، ص ص 94،95.

[2]– نفسه، ص95.

[3]– شدري معمر رشيدة، السلطة الروحية...،358.

[4]– مارمول كربخال، مصدر سابق،389.

[5]– شدري معمر رشيدة، السلطة الروحية...، ص358.

[6]– عبد الرحمان الجيلالي، ج3...، ص92.

[7]– مارمول كربخال، مصدر سابق، ص389.

[8]– يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص168.

[9]– مارمول كربخال مصدرسابق، ص389.

[10]–A.Berbrugger، op، cit، p95.

العزيز الأتراك بكل بسالة، فقد تثبت في القتال، إذ لم يبقى معه سوى كتيبتين وقليل من الفرسان وصمد في وجه الأتراك رافضا الاستسلام، يحاول أخذ حريته[1] إلى أن لقي حتفه تحت قذائف نيران حسان باشا سنة 1559م[2]، وقد واصل الأتراك انتصارهم وتقدمهم في المنطقة الشرقية للجزائر وصعدوا الجبل[3] وبلغو إحدى القرى، فما كان من الزواويين أن أرسلوا إليهم يعرضون عليهم مفاتيح قلعتهم وفقا لشروط[4]، سعيا لإيقافهم عن زحفهم باتجاههم[5] وكان هذا كله عبارة عن مراوغة من أجل كسب الوقت، وتعيين خليفة لهم، فتم اختيار أخيه أحمد أمقران(1559م-1596م)[6]، خليفة عليهم وبعدها عادوا إلى القتال. ولما رأى الأتراك أّنهم لم يحققوا شيئا بعد ثمانية أيام من المكوث في ذلك الجبل، وأّن قوتهم لا تجدي في صد الخطر عنهم، حيث كانوا يفقدون كل يوم عددا من الجنود، أخذوا طريقهم في اتجاه الجزائر، وعادوا حاملين معهم رأس عدوهم المقتول عبد العزيز[7].

لكن هناك من يرجع السبب الرئيسي حول الّنزاع بين حسان باشا و سلطان بني عباس عبد العزيز، هو امتناع هذا الأخير عن دفع الضريبة على خلاف ملك كوكو. كما أّنه قام بأخذ الضريبة على المعاضيد، وأولاد سليمان، وأولاد سعيد وأولاد يحي، التي كانت تدفع للسلطة العثمانية لصيانة حامية الإنكشارية في المسيلة[8]، وبعد عودة حسان باشا إلى الجزائر قام أحمد القاضي سلطان كوكو وبعض زعماء الحضنة الذين تعرضوا لغارات فرق القوم المرابطة بالمسيلة بإخباره على الخطة التي وضعها عبد العزيز لاسترجاع بجاية سنة

[1]- مارموا كربخال، مصدر سابق، ص389.
[2]- يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص168.
[3]- مارمول مصدر سابق، ص390.
[4]- يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص168.
[5]- مارمول كربخال، مصدر سابق، ص390.
[6]- رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص358.
[7]- مارمول كربخال، مصدر سابق، ص390.
[8]- صالح عباد، مرجع سابق، ص86.

1550م، وكان يعتبر حينئذ حسان باشا من ألدّ أعدائه[1]. فقام حسن باشا بشن حملة عليه، حيث أنه خرج مع ستة آلاف (6000) تركي وأندلسي و(600) سبايهي و (4000) فارس عربي وقبائلي، و08 مدافع وجهها ضد عبد العزيز. عسكرت في مجانة أولا أين أنشأت برجا يأوي حامية قوية ودعمت حامية زمورة، ثم توجهت إلى قلعة بني عباس، التي تم فيها إصابة عبد العزيز وقتله من طرف قذائف المدفعية الخاصة بهم[2]. فلم يستطع حسن باشا الاستيلاء على قلعة بني عباس، بعد قتل السلطان عبد العزيز ، وذلك لأن أصحاب القلعة اتبعوا ضدّه حرب العصابات، كما ساعدهم أيضا طبيعة المنطقة الجبلية المنيعة والتي يعرفون مسالكها جيدا[3].

لقد عرف عهد أحمد أمقران تغييرا من حيث الحدود السياسية والعسكرية، فقد قام بتوسيع نفوذه بالاستيلاء على كوكو. وأجبر الأتراك بعد حرب منهكة استمرت عامين، على أن يتفاهموا معه في 1561م، ويعترفوا به سلطانا[4]. فعرف سكان القلعة الهدوء لبضع سنوات.

وهنا تكون السلطة العثمانية و سكان قلعة بني عباس قد عرفت فترة من السلم والهدنة فيما بينهم، وذلك كان من الفترة الممتدة من (1559م–1590م)[5]،والتي تم فيها دخول أحمد أمقران مع حسان باشا في تفاوض سنة 1559م، أعقب عنه القبول بشروط السلطان العباسي، للصلح، فتقلصت سلطة حسان باشا على الزيانيين والضفة الغربية لوادي الساحل[6]. وقد كان إبرام هذا الصلح بمقتضى معاهدة عقدت بين الطرفين، عرفت بمعاهدة

[1]– لويس رين، مرجع سابق، ص17.

[2]– صالح عباد، مرجع سابق، ص86.

[3]– يحي بوعزيز، الموجز ج2...، ص39.

[4]– مبارك بن محمد الهلالي الميلي، مرجع سابق، ص92.

[5]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص359.

[6]– فريدة مؤنسة، مصدر سابق، ص29.

التحالف الدفاعي الهجومي بين أحمد أمقران وحسان باشا، فلم تكن هذه المعاهدة مثل المعاهدات الأخرى، فقد نصّت على إعفاء المقرانيين من دفع الجزية[1].

وقد تجسدت هذه المعاهدة، أثناء تدعيم حسان باشا الذي قام بمهاجمة القوات الاسبانية بوهران في ربيع عام السنة الموالية من تقلده لمنصب البايلرباي للمرة الثالثة سنة(969هـ/1562م)، على رأس جيش عدّته 30 ألف من بينها 12 ألف رجل من جيش أحمد أمقران زعيم قلعة بني عباس[2]. سنة 1563م[3].، كما شارك بنو العباس في الحملة التي شنها علج علي على تونس سنة 1572م، وكانوا بين صفوفه التي قدرة ب ستة آلاف مغربي من جنود ملك كوكو وزعماء آخرين[4].

إذ أصبح من المألوف على ملك بني عباس، كلما اعتلى ملك جديد الحكم في الجزائر، بأن يمنح له هدية[5]، والذي بدوره يمنح لصاحب القلعة السيف والقفطان[6]، وبحلول سنة 1580م كان أحمد أمقران قد اكتسب سلطة وهيبة، جعلته يجرؤ على إرسال أحد أبنائه إلى الجزائر دون أن يخاف على حياته، وذلك من أجل الترحيب بقدوم جعفر باشا الذي قدم في 02 أوت 1580م بصفته خليفة لباي البايات علج علي[7]، الذي جلب له هدية تقدر بأكثر من ستة آلاف رويل[8]، تعادل(400 ريال ذهبي)، و(400) جمل، و(1000) خروف[9].

---

[1]– يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص169.

[2]– عبد الرحمان الجيلالي، ج3...، ص ص92،93.

[3]-رشيددة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص359.

[4]– يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص178.

[5]– يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص179.

[6]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص359.

[7]– لويس رين، مرجع سابق، ص19.

[8]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص359.

[9]– يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص179.

5- مصير عائلة بني عباس بعد فترة البايلربايات (1590-1800م):

لكن عاد الصراع بين الطرفين وأستمر إلى غاية نهاية عهد البايلربايات وبداية عهد الباشاواة[1]. فكانت أول بدايات الصراع بينهم عام 1590م بعد مضي عام من اعتلاء البايلرباي لخضر باشا منصبه، الذي شنّ حملة على السلطان أحمد أمقران، دون أن يكترث لمعاهدة الوئام التي أبرمت بينه وبين حسان باشا عام 1559[2]. وكان سبب هذه الحملة هو استياء لخضر باشا من السلطان العباسي أحمد أمقران، الذي استغل فترة السلم من أجل توسيع ملك أجداده، الذي أصبح يشمل ناحية الهضاب العليا والصحراء. كما أنّه زحف على رأس جيش قوامه 14000 رجل من بينهم (3000) من الخيالة، وبسط سلطانه على طولقة، وبسكرة، وتقرت، وبلاد أولاد نايل في بوسعادة، والجلفة[3]. وقام بمهاجمة الحاميات التركية بزمورة وبرج بوعريريج، كما أنّه امتنع عن دفع الضريبة للسلطة العثمانية[4].

ولكي يحد لخضر باشا من تمرد أحمد أمقران قام بتهيئة جيش يتكون من 12000 من رمات البنادق و1000 صباحي، كما انضم إليهم 4000 من العرب[5]. في حين كان زعيم بني عباس يترصد قدوم لخضر باشا مع جيشه الذي بلغ عدده 30000 فارس، مما يدل على أن تأثيره امتد إلى غاية سهول الحضنة ومجانة، وهما المنطقتان اللّتان كان بإمكانهما إمداده بهذه الكمية الكبيرة من الجياد. غير أن قوّته الرئيسية كانت تعتمد على فرقة البربر من المشاة، وموقع القلعة المنيع الذي شيّد في مكان مرتفع يصعب الوصول إليه، خاصة وأنّها ذات مسالك خطيرة ووعرة[6]. فلم يتمكن لخضر باشا من الاستيلاء على القلعة، الذي كان طريقها عبارة عن ممر ضيق يستلزم عليهم تسلقه واحدا تلوى الآخر فلم يستطع أن

[1]- رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص359.

[2]- يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص183.

[3]- لويس رين، مرجع سابق، ص19.

[4]- رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص359.

[5]- يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص183.

[6] - A.Berbrugger، op، cit، p102.

يجازف بجيشة حتى لا يقع بين أيدي أحمد أمقران ورجاله الثائرين. فكان على لخضر باشا أن قرر محاصرة القلعة، حيث أنه قام بقطع الأشجار ليقطعوا بها الطريق[1]، بالإضافة إلى تخريبهم القرى المجاورة وفق هواهم، وقد كان أحمد أمقران يراقب هذا التخريب من أعلى القرية، فلم يكن بوسعه سوى إرسال فرقة من المشاة للإغارة على الأتراك المكلفين بحراسة الشعاب، والأمر الذي أحرجه أكثر هو عدم تمكنه من الحصول على ذخيرة الحرب والمؤن[2]، فقد دامت هذه الحرب شهرين من شهر ديسمبر 1590م إلى غاية جانفي 1591م. وكرد على هذه الحملة قام أحمد أمقران بتخريب القلعة، وكان ذلك بإشعال النار بالقرى[3]. وبقي الطرفان في حالة الحرب إلى أن تدخل أحد مرابطي القبائل بينهم، والذي راح يخاطبهم في قوله:« لا ينبغي أن يقتتل المسلمون، بل ينبغي أن يوجهوا ضرباتهم ضد الكفار.»[4]، وقد أتى هذا الخطاب لكلا الطرفين (أحمد أمقران، ولخضر باشا) أن تنبها أخيرا لحجم الخسائر التي تكبدوها خلال شهرين من المواجهة، والتي تم فيها التوصل إلى السلم بين الطرفين، شرط أن يدفع رئيس بني عباس(30000 أيكا)[5] أي ما يعادل (244000 فرنك)، لكن هذا الصلح لم يدم طويلا، حيث ثار أحمد أمقران مرة أخرى بعد مضي سنتين أي سنة 1592م، عندما فرض شعبان باشا الذي تولى الحكم سنة 1592م ضريبة ثقيلة، رفض أمقران تسديدها، فأعلن باي قسنطينة الحرب عليه،[6] وقد أدى هذا القرار من زيادة تمرد بني العباس، الذين قاموا بقطع الطريق بين الجزائر وقسنطينة، ومنعوا جباية الضرائب من اجتياز الطريق، واستطاعوا التغلب مرة أخرى على الأتراك[7]. ونتيجة لتجدد أخطار إمارة بني العباس

---

[1] –Idem، p p 102،103.

[2]– يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص184.

[3]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص560.

[4]– يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص184.

[5] – A.Berbrugger، op، cit، p104.

[6]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص360.

[7]– يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص185.

وتهديداتها المستمرة لطريق المواصلات بين الشرق والغرب[1]، قرر خليفة شعبان باشا الداي مصطفى بإنشاء حامية سور الغزلان سنة 1593م[2]، لتكون مركزا ومحطة لتأمين الطريق بين الجزائر وقسنطينة، ولمقاومة قوات إمارة القلعة التي أصبحت تهدد فرق المحلة المكلفة باستخلاص الضرائب[3]، تدخل الوجهاء والمرابطون مرة أخرى، فتوصل الطرفان إلى إبرام صلح جديد مقابل أن يدفع أمقران الضريبة، غير أّنه توفي في نفس السنة 1595م. فكانت وفاته عودة الصراع مع السلطة التركية[4]، وقد اختار بنو عباس مع وفاة أحمد أمقران ابنه ناصر ليكون زعيما عليهم.

وفي سنة 1596م قام مصطفى باشا بقمع محاولة الانقلاب التي أطاحت بسابقه، حيث كان الانكشاريون التابعين له يطاردون العصاة والمحرضين على الثورة، وقتلهم في حال الإمساك بهم، وهذا ما جعل بالناجين من الموت للفرار نحوه قلعة بني عباس وطلب العون من المقرانيين[5]، فقاموا بالإبلاغ عن شدة العقاب الذي تعرض له أصحابهم، كما وصفوا نقص عدة دفاع الجزائر، وغبرها من التفاصيل التي تهم بني العباس، والخبر الذي خدم بني العباس هو إعلامهم بأن طاقم الانكشاريين قد أصيب بخلل عظيم بسبب عمليات التصفية. فرأى بنو عباس أن جو الخلاف المهيمن على الجزائر ما هو إلا فرصة مواتية للانتقام من الباشاوات الذين أقبلوا من الأناضول[6]. وهذا ما جعل من بني عباس يهاجمون مدينة الجزائر فوصلوا إلى مشارف باب عزون سنة 1598م، ومحاصرتها مدة 11 يوم دون نتيجة وهذا بسبب الاضطرابات التي كانت سائدة في عهد الباشاوات[7]. وبعد مضي عامين من هذا

---

[1]– يحي بوعزيز، الموجز ج2...، ص39.

[2]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص360.

[3]– يحي بوعزيز، الموجز ج2...، ص39.

[4]– صالح عباد، مرجع سابق، ص108 .

[5]– يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص190–195.

[6]– نفسه، 190.

[7]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص360.

الحصار، وصل سليمان باشا إلى الجزائر سنة 1600م، الذي كان يريد التوسع على حساب منطقة القبائل، فواجه مقاومة عنيفة من طرف المقرانيين[1]، فلم يكن سليمان باشا الملقب بفننزيانو مغمورا بالغنائم عند عودته إلى الجزائر، سواء ما تعلق بالأسرى أو الجزية، ولم يستطع الهيمنة على بني عباس، كما بقيت الفرق التركية خاضعة لقانون العبور تحت سلطة بني عباس أثناء اجتيازها من أبواب الحديد (البيبان)، وهذا ما دفع بسليمان باشا أن يعيد حملته على بني عباس سنة 1601م، فلم يحالفه الحظ في تحقيق الانتصار[2]. وقبل مضي عام تم قتل سي ناصر فانقسمت بعده العائلة المقرانية[3]، وتم تعيين بتكة ابن سي ناصر خليفة على بني عباس، والذي شارك أشراف قبيلة أولاد عياض التي كان يحكمها آنذاك سليمان الحداد في سهل غيجل. فتمكنوا من إحراز نصر مؤزر على الأتراك في 20 سبتمبر 1638م على يد الأعيان والبدو الرحل الذين حاربوا تحت إمرة شيخ العرب أحمد بن الصخري بن بوعكاز، وهو سلف الآغا علي باي[4]، وقد نتج عن هذا النصر استعادت مقاطعة قسنطينة استقلالها عن الأتراك للمرة الثانية، ولم يعد بتكة المقراني يعترف بسلطتهم على الاطلاق، كما أنّه تخلى عن لقب السلطان أو الأمير، مفضلا لقب شيخ مجانة، الذي تسمى به أسلافه وأعاد تشكيل مملكة جده، وحارب بني عباس عدة مرات ولم يرغب في العودة إلى القلعة[5]. ثم ثار مجددا سنة 1643م في كل من البيبان وسطيف ولم يخمد ثورتهم إلا بعد تعهد الداي برفع جزء من الضرائب المفروضة على الناس وعلى حرية التجارة بين الجزائر وقسنطينة[6].

---

[1]– لويس رين، مرجع سابق، ص20.

[2]– يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص195.

[3]– صالح عباد، مرجع سابق، ص108 .

[4]– لويس رين، مرجع سابق، ص21.

[5]– نفسه، 21.

[6]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص ص 360،361.

وفي سنة 1680م توفي بتكة المقراني مخلفا ورائه أربعة أبناء هم بوزيد وعبد الله، وعزيز ومحمد القندوز. وخلفه بعد وفاته إبنه البكر بوزيد المقراني الذي حارب الأتراك مرتين، وتمكن من صد محاولتهم إرسال رتل من الجنود إلى قسنطينة عبر أراضي إمارته، ثم قرر على إثر انتصاراته فرض إتاوة محددة كرسم يدفعه الأتراك عند مرورهم عبر مملكته، فبقوا يدفعون هذه الضريبة إلى غاية سنة 1830م[1].

عرفت عائلة آل مقران تشتتا خلال بداية القرن الثامن عشر، وذلك بعد وفات بوزيد المقراني سنة 1734م، والذي ترك أربع أبناء، خلفه في الحكم من بعده إبنه الحاج بوزيد بعد أن تنازل أخوك البكر عن الحكم وهو عبد ربه الذي كان يسعى للصلح بين أخويه بورنان وعبد السلام، كما أنّه لم يوفّق في محاولته إقناع إبن عمّه عزيز بن القندوز المقراني بالتنازل عن العرش ليترأس حلفا قبليا مع الأتراك وكان لهؤلاء آنذاك اعتراضات خطبرة ضد شيخ مجانة الذي غدر في حدود سنة 1737م بطابور تركي بكامله انتقاما من إغتصاب والدة آل المقراني الحاجة زنينة من طرف خليفة باي قسنطينة الحاج بكير[2]. وقد استفاد من هذا الصراع الأتراك الذين كانوا مدعومين من طرف أولاد قندوز، باستغلالهم سوء التفاهم القائم بين بورنان وعبد السلام في هزم مختلف مجموعات آل المقراني كل واحدة على حدة، ثم تفاقم سوء العلاقة بين أفراد العائلة المقرانية، مما اضطر بهم لمغادرة منطقة مجانة واللجوء إلى الجبال، فتوجه الحاج بوزيد إلى قلعة بني عباس، بينما ذهب بورنان إلى ونوغة، وعبد السلام إلى القلعة بالقرب من ساطور أسفل جبل بوندا، بينما توجّه عمهم عبد الله للعيش في سهوب الحضنة صحبة الأجواد[3]. فاستطاع بعدها الأتراك وللمرّة الثانية من بسط نفوذهم على منطقة مجانة وبادروا بهدم أسوار البرج الذي شيّدوه في بوعريريج سنة 1559م، كما تركو به حامية تتألف من300 جندي إنكشاري وأوكلوا قيادة أولاد ماضي إلى عزيز بن

[1]– لويس رين، مرجع سابق، ص21.

[2]– نفسه ، ص ص22،21.

[3]– نفسه، ص22.

وفي نهاية القرن الثامن عشر عرفت عائلة آل مقران انقسامات وفروع أصبحت تعرف بها فيما بعد، وقد كان ذلك بعد وفاة بوزيد المقراني سنة 1783م، الذي كان أخوه قد توفي قبله بعامين أو ثلاثة بعد أن زوّج ابنته ذكرى للباي أحمد الخولي، وهي التي ستكون فيما بعد جدة لآخر بايات قسنطينة ولم تخلف غير ولدين اثنين هم الابن البكر بوزيد بن الحاج الذي وافق ليكون خليفة عمّه عبد السلام على رأس الإمارة، والذي لم يعد تاريخ المقرانيين بعده يعرف سوى الاقتتال بين الإخوة الأشقاء وبين أعضاء العائلة[1] المنقسمة إلى ثلاثة بطون هم أولاد الحاج وأولاد يونان وأولاد القندوز[2] ، لكن ورغم ظهور الصراع بين السلطة العثمانية وآل مقران إلاّ أننا نجد أولاد مقران قد ساندوا السلطة الروحية ضد ثورة ابن الأحرش سنة 1807م، كما شارك زعيمهم أحمد بن بوزيد المقراني إلى جانب أحمد باي ضد الحملة الفرنسية[3].

[1]– لويس رين، مرجع سابق، ص23.

[2]– يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص224.

[3]– رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية...، ص361.

خاتمة

من خلال دراستنا لما جاء في المذكرة توصلنا لاستنتاجات وهي ملخصة في النقاط التالية:

- تعرض المغرب الأوسط (الجزائر حاليا) خلال القرن السادس عشر تكالب أوروبي على سواحله، تمثل في الغزو الإسباني لسواحله فاحتلت المرسى الكبير 1505م واحتلال وهران 1509م واحتلال بجاية وعنابة سنة 1510م وغيرها من الموانئ والمدن، وذلك بسبب ضعف وشتات الوحدة السياسية والعسكرية بالجزائر التي كانت تسعى كل منها للوصول إلى الحكم.
- وجود فراغ سياسي بالجزائر، نتج عنه تولي مرابطي ووجهاء وعلماء الجزائر أمور تسيير البلاد كالحث على الجهاد، والحكم بين الناس، بالإضافة إلى النصح والإرشاد، فكانوا بذلك قد خلفوا الحكام الذين كانوا يتناحرون على الحكم آنذاك.
- تحالف الإخوة بربروس مع شيخ القبائل أحمد بن القاضي في بداية تواجدهم في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط منذ سنة (1512-1519م)، ولذل يعتبر أحمد بن القاضي أّول شخص طلب مساعدتهم، وكان بمثابة اليد اليمنى للعثمانيين.
- تخلص السواحل الجزائرية من الغزو الإسباني، وذلك كان بفضل قوة وإخلاص جهاد الإخوة عروج وخير الدين بربروس،اللّذين بررزا على ساحة الجهاد في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط.
- دخول الجزائر تحت لواء السلطة العثمانية بسبب رغبة سكان مدينة الجزائر بقاء خير الدين بربروس، الذي إعتبروه مخلصهم من ضلم الكفار الاسبان، فقاموا بمنعه من الخروج من مدينة الجزائر بعد استشهاد أخيه عروج والياس سنة 1518م، ومنه نستنتج بأن دخول الجزائر تحت لواء الباب العالي كان بسبب رغبة سكانها وليس بالإكراه وخوض الحروب كما حدث في دول المشرق العربي مثل مصر والشام.

- ظهور أسر محلية كان لها دور مهم في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للبلاد أهمها أسرة آل القاضي وأسرة بني عباس، التي حاربت الغزو الإسباني وحمت السكان من بطش العدو الكافر عندما استلزم الوضع، وقد تميّزت العلاقة بين أسرة بني العباس وآل القاضي بالعداء الشديد، وذلك بسبب سوء معاملة آل القاضي لأسرة بني العباس، وأسسوا إماراتهم في منطقة القبائل، فاستقر بنو عباس في منطقة القبائل الصغرى وأسرة آل القاضي استقّرت بمنطقة القبائل الكبرى، مؤسسين بذلك إمارتين قوّيتين.كانت إذا تحالفت واحدة منهم مع السلطة العثمانية تثور الأخرى منها.
- تحالف الإخوة بربروس في بداية تواجدهم بالجزائر مع شيخ القبائل أحمد بن القاضي منذ سنة(1512-1519م) ثم تغيّر هذا التّحالف بعد استشهاد بابا عروج سنة 1518م، وذلك لتردّي الأوضاع في الجزائر، وكثرة الدسائس التي كانت تحاك ضد خير الدين من طرف الحفصيين والمرينيين، اللّذين لم يريدا وجود خير الدين بالجزائر، خاصة السلطان الحفصي الذي إعتبر أنّ ملك الجزائر من حقّه، كما أن خير الدين قام بتوجيه أصابع الإتّهام لإبن القاضي وتحميله مسؤولية قتل أخيه.
- انتقال خير الدين للتحالف مع سلطان بني عباس عبد العزيز بعد تمّرد آل القاضي عليه، وبذلك دخل في علاقة الود والتعاون منذ تلك الفترة، والتي قام فيها سلطان بني عباس بمساعدة خير الدين للقضاء على ثورة آل القاضي سنة 1525م، كما تحالفت معه في حملة صالح رايس سنة 1552م ضد توقورت وورقلة.

وبذلك تكون علاقة آل القاضي وبني العباس بالسلطة العثمانية عرفت تذبذب، حيث أنّ السلطة العثمانية لم تتحالف مع الإمارتين في نفس الوقت، وكان هذا لصالحها إذ أنّها كانت تستعين بإحدى الإمارتين لتقضي أو تصد ثورة الإمارة أخرى، بالإضافة إلى أنّ الأتراك استغلوا التّوتر والعداء الذّي كان قائما بين آل القاضي وآث عباس لمصلحتهم.

- رغم توتر العلاقات بين السلطة العثمانية وسكان القبائل المحلية (آل القاضي، وبني عباس) إلّا أنّه كانت هناك علاقة مصاهرة بينهم، إذ تزوّج حسن بن خير الدين من ابنة ملك كوكو، كما تزوّج علج علي بابنة أخ سلطان كوكو، وبذلك تم تهدئة منطقة القبائل والحصول على الاستقرار.
- عرفت منطقة القبائل ازدهار الحياة الاجتماعية والاقتصادية فكانت منطقتها تزخر بوفرة الإنتاج الزّراعي والاقتصادي والتّجاري خاصة في عهد أعمر بن القاضي الذي نقل العاصمة من كوكو إلى جمعة الساريج في نهاية القرن السادس عشر.
- عرف سكان إمارة كوكو والمناطق التابعة لها في فترة حكم أعمر بن القاضي، استبدادا من طرفه وهذا ما جعله يقتل على يد أخيه سنة 1518م وهناك من يقول1519م، لتعرف بعده أسرة آل القاضي تشتت وانقسام، فظهر بذلك فرع جديد لأسرة آل القاضي عرف بفرع إبوختوشان.
- زوال نفوذ آل القاضي وضعف إمارة كوكو خلال بداية القرن السابع عشر، بعد مقتل أعمر بن القاضي سنة 1518م، وتشتت الأسرة التي أصبحت تعرف باسم بوختوش، لصفين وهم: الصف الفوقاني بقيادة أورخو، والصف التحتاني بقيادة سي علي الإبن الثاني لأحمد التونسي، وقد عرف هذين الصفين حرب حقيقية فيما بينهم، وهذا ما أدى بزوال نفوذها وسلطتها التي عرفت بقوتها وازدهارها مع بداية التواجد العثماني. لكن أسرة آل القاضي لم تعرف وحدها الانقسام والتشتت لأفراد أسرتها، فقد عرفت جارتها المحاذية لها من أسرة بني عباس نفس مصريرها، فتفرعت لثلاثة فروع متصارعة وهي: أولاد الحاج ويساندهم أولاد عبد السلام، الذين بقوا في العشيرة الرئيسية، وأولاد بورنان وأخيرا عشيرة أولاد قندوز وهي الأقدم تاريخيا.
- عرفت السلطة العثمانية تذبذب العلاقات بين أسرة آل القاضي وبني عباس بعد انقسامها وتفرعها، حيث عرفت تحالفا مع آل بوختوش ضد فرع آل القاضي المعادي للسلطة

العثمانية، ونفس الشيئ مع أسرة بني عباس فمنهم من كان يساند السلطة العثمانية ومنهم من كان ضدها.

- خدم الانقسام والتناحر الذي نشب بين الأسر المحلية لبني العباس وبني القاضي السلطة العثمانية، حيث كان في صالحها، فقد استفادت منه، فكان كلما تمر عليها سلطان إحدى العائلتين استعانت بالأخرى حتى تتمكن من القضاء على ثورته، أو كبحها عن الاستمرار، نذكر على سبيل المثال تحالف خير الدين بالسلطان عبد العزيز سنة 1520م ليقضي على ثورة أحمد بن القاضي كما استعانت السلطة العثمانية في فترة حكم حسان باشا بآل القاضي حتى تقضي على ثورة بني عباس سنة 1559م، التي أعقبت عن قتل السلطان العباسي عبد العزيز.
- لم تستطع السلطة التركية إخضاع آل القاضي وبني العباس الذين لم يعهدا بدفع ضريبة لأي أحد حسب مارمول كربخال، كما اعتادوا العيش الطليق، وعلى إثر مشكلة الضرائب في بعض الأحيان كانت تنشب الحرب ويعلن العصيان من قبل الإمارتين.
- شكلت قوات آل القاضي وسلطان بني عباس أكبر مشكل في وجه السلطة التركية التي كانت تحسب لهم ألف حساب، وتحاول كل مرة في حصر نفوذهم والتخلص من زعمائها خاصة عندما يحرزون الانتصارات في المعارك، كما حدث مع سلطان بني عباس عبد العزيز الذي حاول قتله في قصر الجنينة بعد انتصاره على الملك المغربي مولاي عبد القادر وقتلة.

الملاحق

الملحق رقم (01): خريطة توضح الغزو الصليبي للمغرب الاسلامي

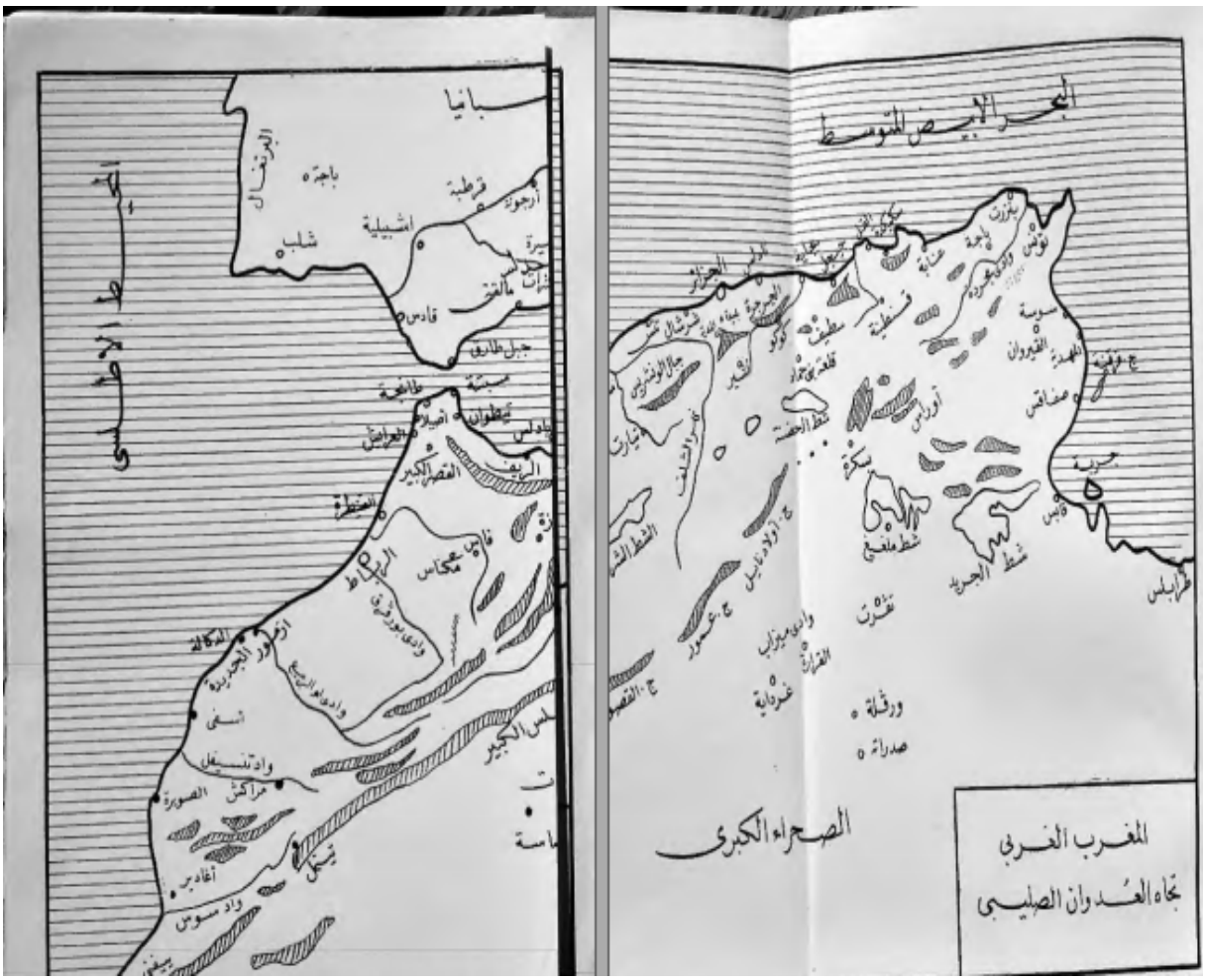

المصدر: احمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 513.

الملحق رقم (02): الاخوة بربروس بابا عروج وخير الدين

المصدر: غزوات عروج وخير الدين، مصدر سابق، ص 2،1.

الملحق رقم (03): خريطة توضح التحرشات الاسبانية لسواحل شمال إفريقيا وتحرير الأتراك لها.

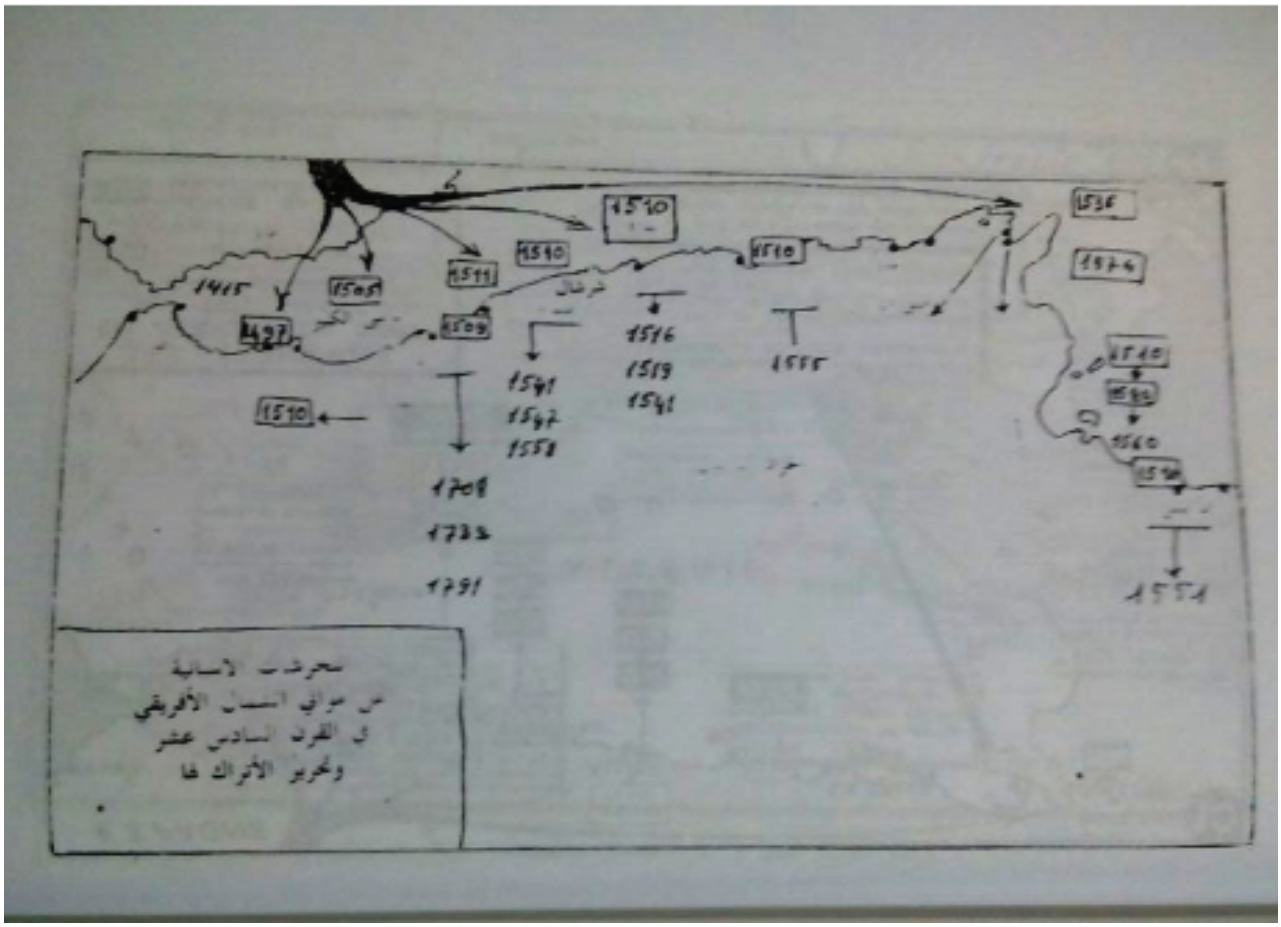

المصدر: يحي بوعزيز، مرجع سابق، 27.

الملحق رقم (04): خريطة الطريق التاريخية العابرة للبيبان على واد الصومام

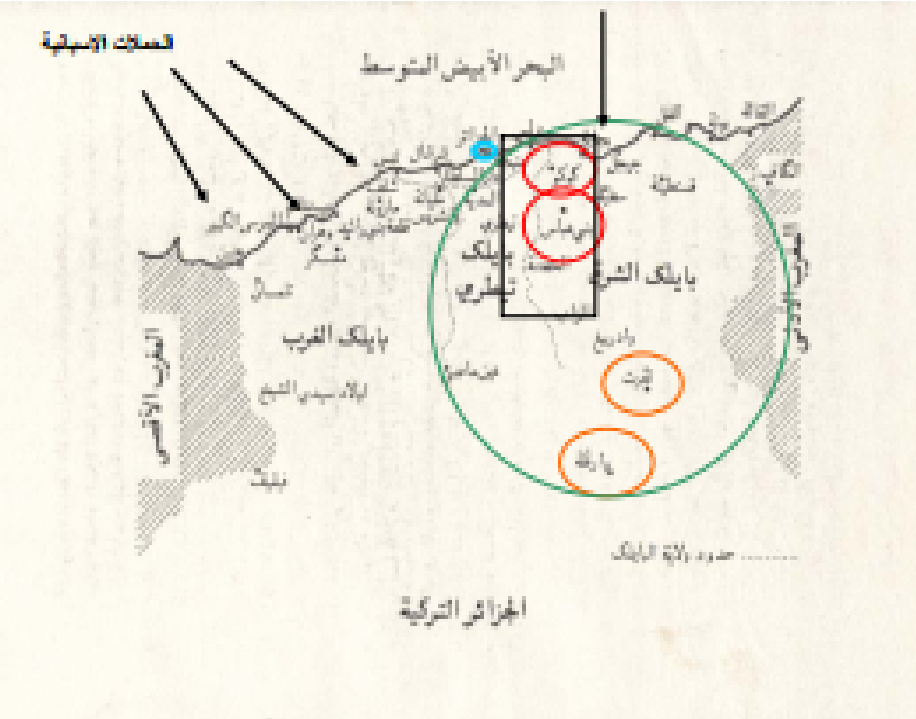

المصدر: بومولة نبيل، مرجع سابق، ص140.

الملحق رقم (05): خريطة إمارة كوكو

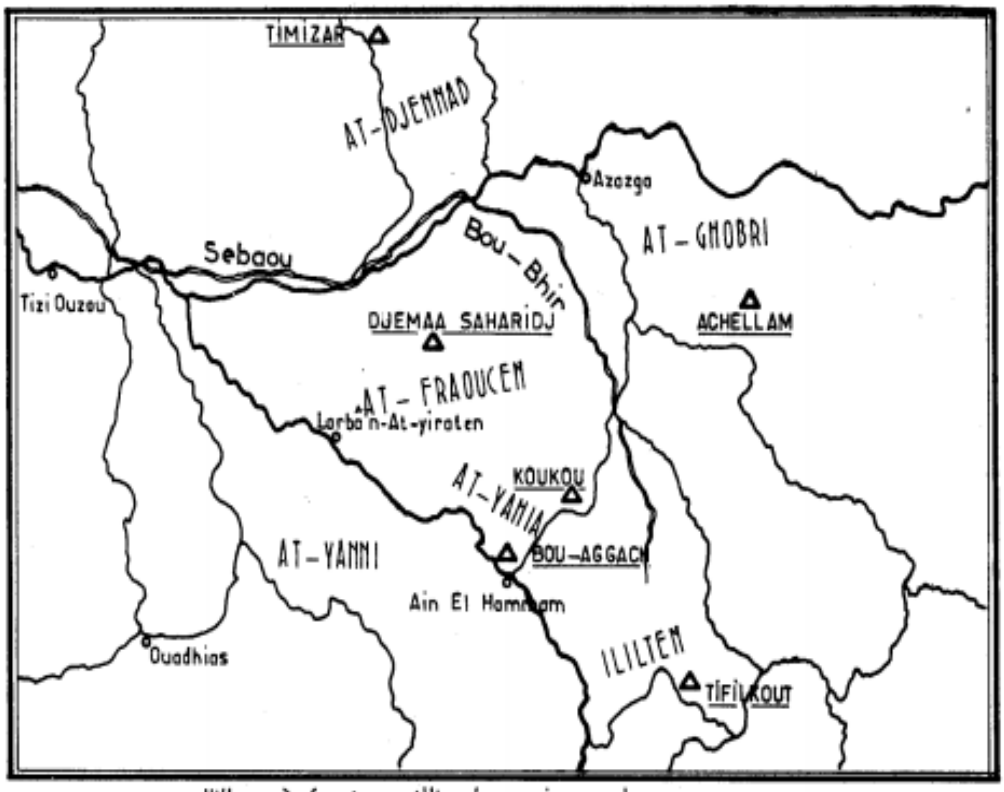

المصدر: H. genevois, op cit, p 31

الملحق رقم (06): مخطط امارة كوكو

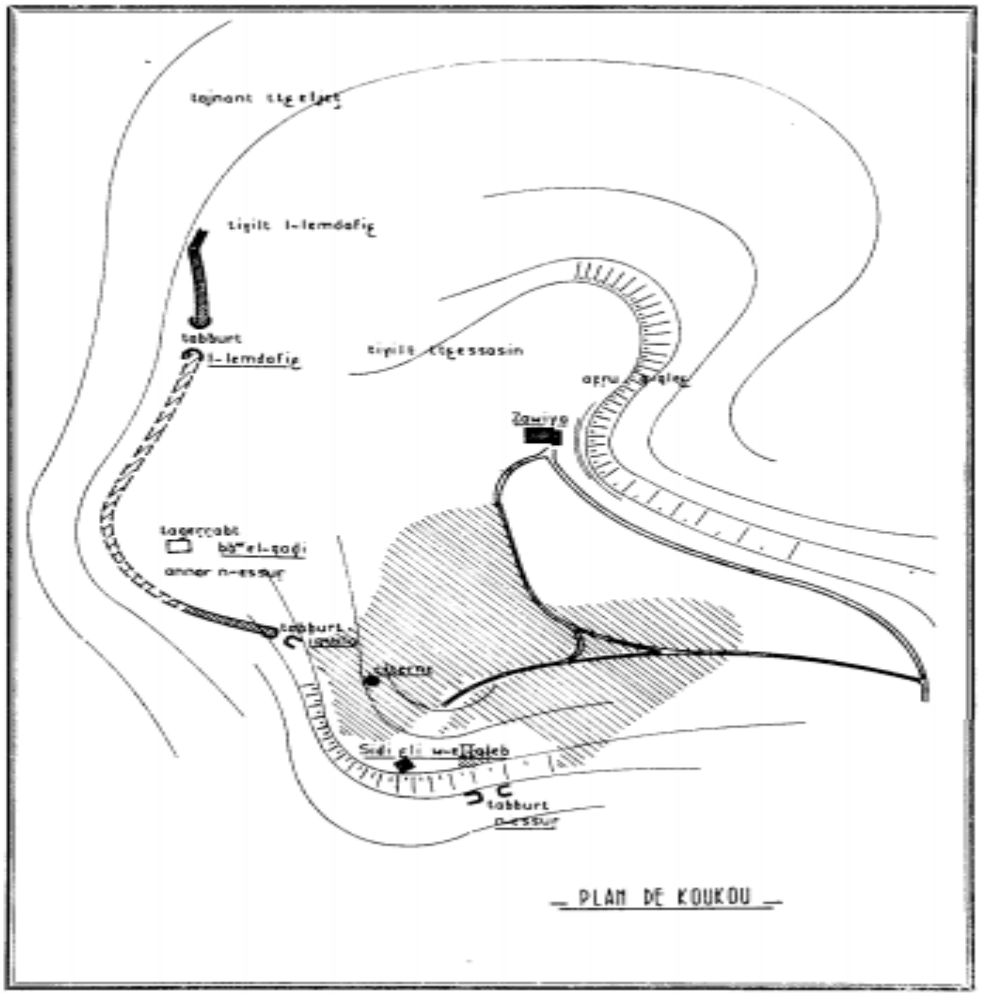

المصدر: **H. genevois, op cit, p 14**

الملحق رقم (07): قرية الشواريخ وقلعة بني عباس وجبالها

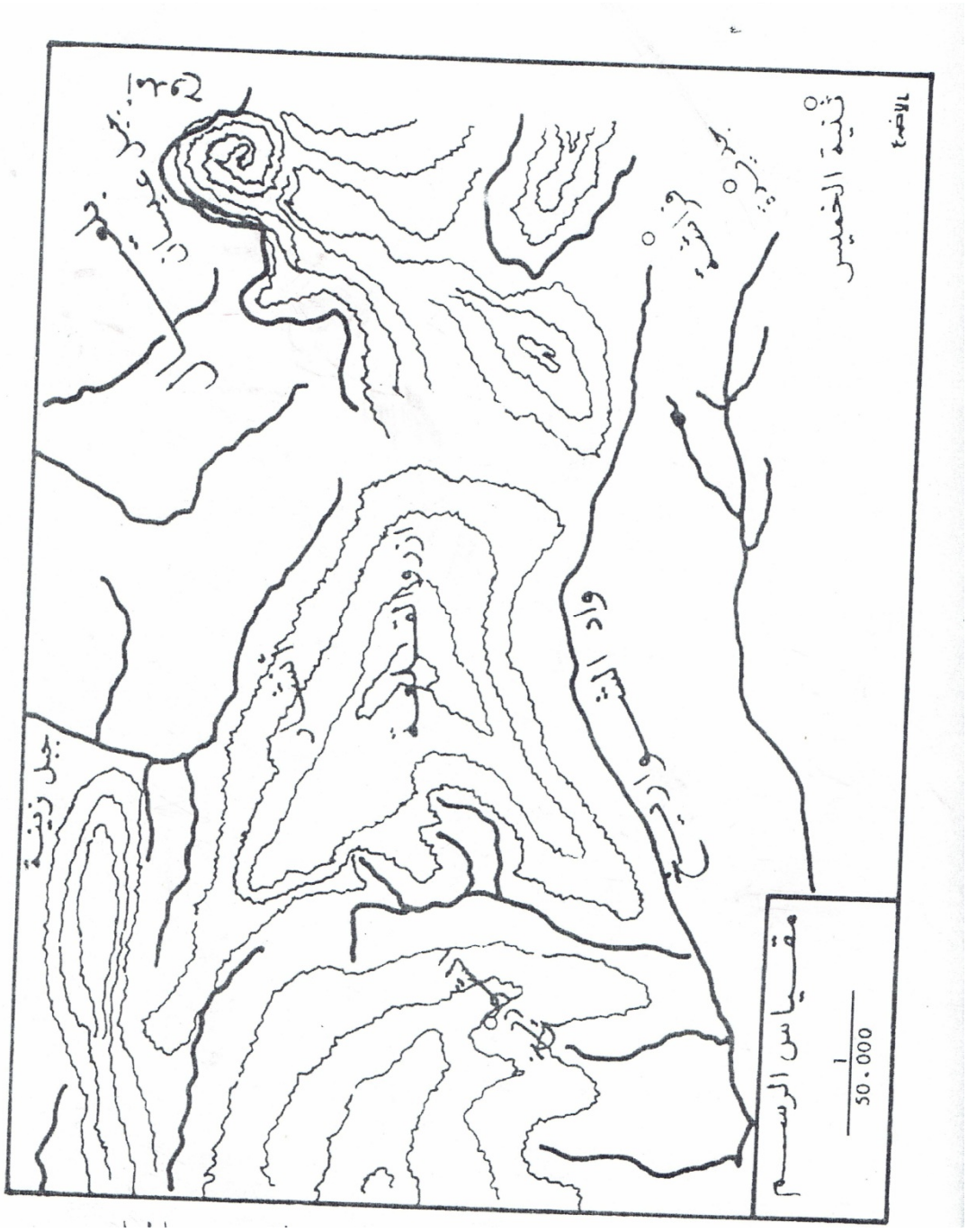

المصدر: يحي بوعزيز، ثورة الباشاغا، مرجع سابق، ص 45.

الملحق رقم (08): خريطة توضح موقع قلعة بني عباس

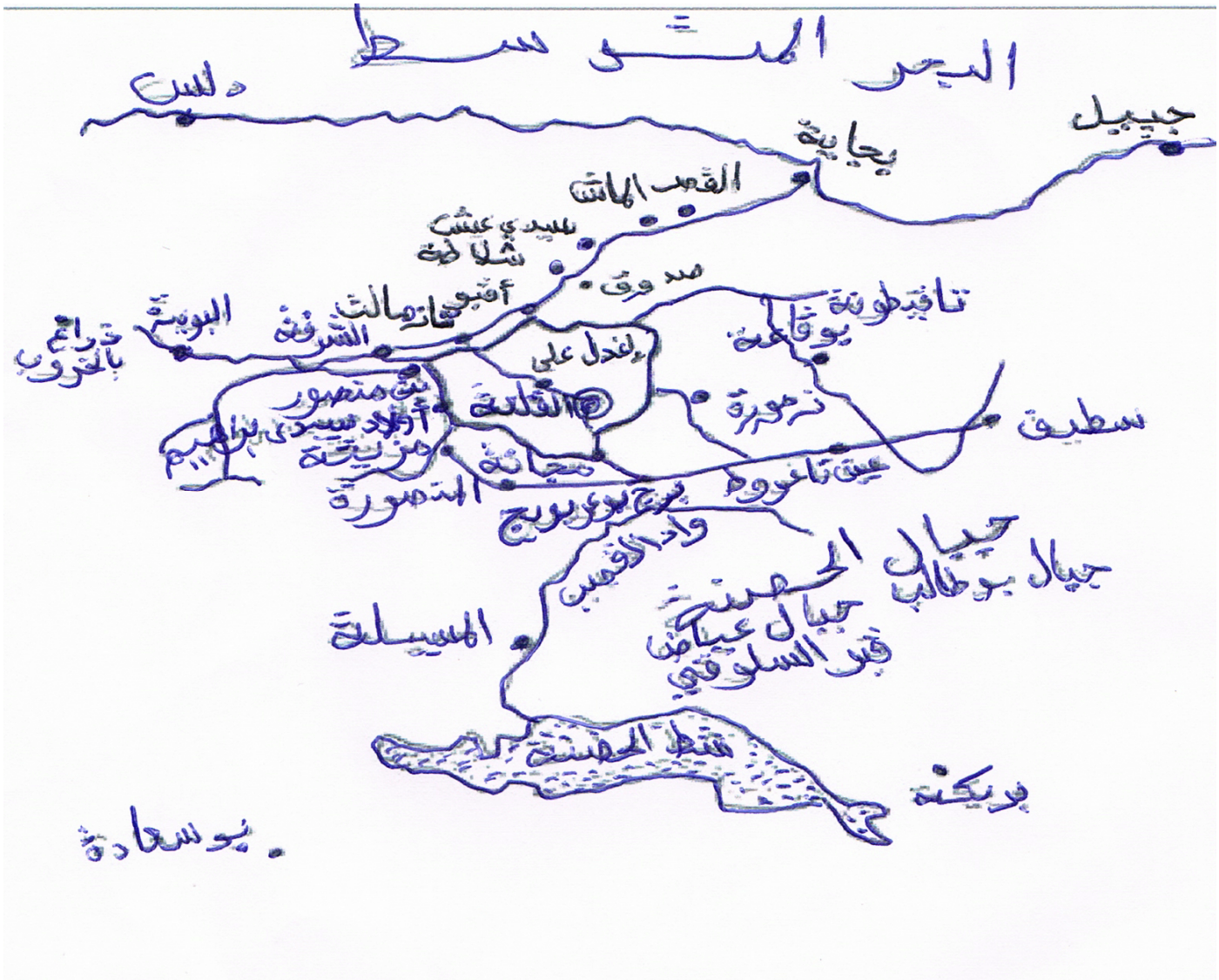

المصدر: نبيل بومولة، مرجع سابق، ص132.

الملحق رقم (09): رسالة الملك كوكو لملك اسبانيا فليب الثالث سنة 1603م

المصدر: H. genevois, op cit, p 08

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1- ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبرر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، مر سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، 2000 م عبد الرحمان الثعالبي، انظر عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس الغبريني، تحقيق الأستاذ رابح بونار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر

2- الجزائري محمد ابن ميمون ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق، تح،

3- جورجي زيدان، مصر العثمانية، تحقيق محمد حرب، دار الهلال الإسكندرية، 2003م.

4- خوجة حمدان بن عثمان المرآة، تق وتع وتح، محمد العربي الزبيري، سلسلة التراث،

5- دراج محمد مذكرات خير الدين بربروس، ط1، شركة الأصالة للنّشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، 2010م.

6- الشيخ العلامة بن يوسف الزياني ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح الشيخ المهدي بوعبدلي،عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر،2013م.
عدد 1، الجزائر، 1353-1934.

7- العنتري صالح افريدة منيسة، في2 حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، ويليه روضة النسرين في التعريف بن صعد الأنصاري الأشياخ المتأخرين تأليف الشيخ محمد بن صعد الأنصاري التلمساني المتوفي سنة 901هـ، ، مر وتح الدكتور يحي بوعزيز، طبعة خاصة 2009م، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر.

8- الفاسي،الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت لبنان، 1983

9-لويس رين، تاريخ انتفاضة 1871 في الجزائر، تر مسعود حاج مسعود، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2013.

10- مارمول كربخال، تاريخ إفريقيا،ج2، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي محمد زينبر وآخرون، الجمعية المغاربية للتأليف والطرجمة، 1988-1989 .

11- محمد عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

12- مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، اعتن بتصحيحه وتعليق حواشيه، نور الدين عبد القادر، طبع على ذمة المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية لصالحهما رودوس قدور بن موراد إسماعيل

13- الورتيلاني الحسن بن محمد ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ المشهورة بالرحلة الورتلانية، طبع في مطبعة بير فونتانا الشرقية في الجزائر، 1908.

المراجع:

1- إسحاق عبيد، محاكم التفتيش ونشأتها ونشاطها، ط1، دار المعارف، 1978م.

2- الجيلالي عبد الرحمان محمد، تاريخ الجزائر العام،ج3، طبعة 2014، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر،1830.

3- الجيلالي عبد الرحمان محمد، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965.

4- الحسن عيسى، الدولة العثمانية، عوامل البناء وأسباب الانهيار، ط1، دار الأهلة للنشر والتوزيع، بيروت، 2009

5- الخطيب مصطفى عبد الكريم ، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م

6- الزواوي أبو يعلي، تاريخ الزواوة،مراجعة وتعليٌق الأستاذ بوراي إسماعيل، طبع في الجزائر جانفي 2008م.

7- السيد محمود ، تاريخ دول المغرب العربي، ليبا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا، مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية.

8- الصلابي محمد علي ، الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

9- العسلي بسام، خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1480-1548م، دار النفائس، 1980

10- العيدودي صارة نبيل عبايدية، النظام العسكري العثماني في الجزائر (1518-1830م)، قسم العلوم الإنسانية جامعة التبسة، 2008

11- الكيالي عبد الوهاب ، الموسوعة السياسية، 32، ط2، المؤسسة الغربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993.

12- المدني أحمد توفيق ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2010م.

13- المدني أحمد توفيق ، هذه هي الجزائر، مكتبة المخصصة المصرية، القاهرة.

14- المدني احمد توفيق، حرب 300 سنة، بين الجزائر واسبانيا، 1492-1792، دار البعث، الجزائر.

15- الميلي مبارك بن محمد الهلالي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر

16- الميلي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب.

17- أمجاد فريدون ، سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، تر جمال فاروق، أحمد كمال، ط2، دار النيل للنشر والتوزيع، مصر، 2015م

18- بنو جيت يوسف ، قلعة بني عباس إبان القرن السادس عشر ميلادي، ترجمة سامية سعيد عمار، وتقديم محفوظ قداش، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر،2009.

19-بوحوش عمار التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ط2، دار الغرب الإسلامي، 2005

20- بوعبدلي المهدي ، تاريخ المدن، إعداد عبد الرحمان دويب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2013.

21-بوعزة بوضرايسية ، دولر العثمانيين الأتراك في تحرير المدن الساحلية

22-بوعزيز يحي ، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، الجزائر الحديثة، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009م.

23- بوعزيز يحي ، ثورة الباشاغا محمد المقراني والشيخ الحداد عام 1871 ويليه مواقف العائلات الأرستقراطية من البشاغا محمد المقراني وثورته عام 1871، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

24- بوعزيز يحي ، دائرة الجعافرة تاريخ وحضارة وجهاد، دار جمومة، الجزائر، 2002م.

25-بوعزيز يحي ، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، شركة دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2004.

26- جلال يحيى، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر،دار الكتاب الحديث، 2010م.

27-جوليان شارل أندري ، تاريخ افريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الاسلامي إلى سنة 1830م، تعريب محمد مزالي، البشر بن سلامة، ج2، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983م

28- جون ب. وولف، الجزائر وأروبا 1500-1830، ترجمة وتحقيق الدكتور أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر،2009.

29- حلمي عبد القادر ، جغرافية الجزائر دراسة تطبيقية وبشرية واقتصادية، مطبعة الشركة الوطنية الجزائرية 1968م. عبد الرحمان محمد الجيلالي تاريخ الجزائر العام، ج2،ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 196

30- خلفات مفتاح، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين 6-9هـ/12-15م دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، جامعة المسيلة،قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية

31- دراج محمد، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543)، تصدير ناصر الدين سعيدوني، ط2،شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة،2011م.

32- ريمون أندريه ،المدن العربية الكبرى في العهد العثماني، ترجمة لطيف فرج، ط1 ، دار الأهلة للّشر والتوزيع، بيروت، 2009م
33- ساحي أحمد، الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو(1512-1767م)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة تيزي وزو، 2015م
34- سامح التر عبد العزيز ، الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989م
35- سعدي عثمان ، الجزائر في التاريخ، طبعة 2013، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2010م.
36-سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، البصائر للنشر والتوزيع،باب الزوار،الجزائر، 2012م
37- سعيدوني ناصر الدين، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية ،الجزائر تونس طرابلس الغرب، ط2،البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر.
38-سيف الدين الكاتب وآخرون، أطلس تاريخ الحضارات،التاريخ الحديث للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان،2004
39- شارل فيرو، تاريخ جيجلي ترجمة عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.
40-شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ليبيا تونس الجزائر المغرب، ط1، مكتبة أنجلو المصرية، 1977
41- شويتام أرزقي ، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519-1830م، ط2، دار الكتاب العربي حي الآمال، الجزائر، 2016.
42- عباد صالح ، الجزائر خلال العهد التركي 1514-1830م، دار هومة، 2012.
43- عبد الحميد بن أبي زيان بن إشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر،مكتبة جواد حمادي.
44- عبد القادر فكاير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وأثاره، 910 1206هـ/1505 1792م. دراسة تتناول الأثار السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية على الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.
45- عبد القادر نور الدين ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة بير توتة، الجزائر، 2006
46- عمورة عمار ، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، القبة الجزائر، 2002،.
47- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ ،الجزائر عامة ما قبل التاريخ 1962،الجزء الأول، دار المعرفة للنشر والتوزيع، باب الواد، الجزائر.
48- عودة محمد عبد الله ، وإبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث،الأهلية للنشر والتوزيع

49- عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م

50- فرج محمد الصغير، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954، تعريب موسى زمولي، الطبعة أنجزت في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية، دار ثالة للنشر والتوزيع، 2007م

51-قنان جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، طبعة خاصة وزارة المجاهدين.

52-كورين شوفاليه ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، تر جمال حمادنة، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

53- لويس رين، تاريخ انتفاضة 1871 في الجزائر، تر مسعود الحاج مسعود، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2013م.

54- محمد محمد حميد ،أسد البحار بربروسا، ط1، دار النفائش للنشر والتوزيع، بيروت،2010م.

55-منور العربي ، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر،.

56- مؤلف مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروس، تحقيق وتقديم وتعليق عبد الله حمادي، المكتبة الجزائرية، دار القصبة للنشر، 2009.

57- نوار عبد العزيز سليمان ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث: من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي،1999م.

58- نيقولاي اقانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574، نقله إلى العربية يوسف عطا الله، راجعه وقدم له مسعود ضاهر، ط1، سلسلة: تاريخ المشرق العربي الحديث، دار الفرابي- بيروت- شركة المطبوعات اللبنانية، 1988

59- وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، حي السعيد حمدين، الجزائر،2006م.

60- ياغي إسماعيل أحمد، العالم العربي في العصر الحديث، ط1،مكتبة الملك فهد الوطنية لدار النشر،الرياض،1997م

. الموسوعات والمعاجم:

1- أحمد زكي بك، قاموس الجغرافية القديمة بالعربي والفرنساوي، سكريتير ثاني مجلس التطار ومساعد سكرتير الجمعية الجغرافية الخدوية، ط1، مصر المحلية، 1899م.

2- بن شيخ العيد، موسوعة شطرطيوة، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، إعداد لمياء قاسيمي ، الجزائر

3-دهمان محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1996.

4- سوادي هشام ، تاريخ العرب الحديث 1516-1918، من الفتح العثماني إلى الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الفكر ناشرون وموزعون، 2010م.

5- فارس محمد خبر ، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، مدرس تاريخ شمال افريقية الحديث، كلية الآداب- جامعة دمشق،1969

6- وليام لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زيادةج4، مؤسسة للطباعة والنشر،1983م، القاهرة،.

المجلات والدوريات:

1- ابلالي أسماء ، التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10ه/16م قراءة في الدوافع والنتائج، مجلة الروافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد الثاني، 2007م.

2- شويتام أرزقي ، فعالية الملتقى الدولي حول مماليك الأمازيغ في العهد الإسلامي، بسكرة،1-2 ديسمبر، 2010م.

3- شويتام أرزقي، فعاليات إمارة كوكو، تيزي وزو 30 سبتمبر 2010، المحافظة السامية للأمازغية، محاضرة قسم التاريخ، إمارة كوكو (1511-1767م) ،جامعة الجزائر.

4- علي بن شيخ ، نشأة مملكة كوكو، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة بجاية، 2006، العدد 11-12، مارس.

المصادر باللّغة الأجنبية:

1- Fray Diego de Haëdo، abbé de fromesta، histoire des rois d'alger، traduite et annotée par H-D de Grammont، alger adolph jourdan. Libraire-éditeur، 4، place du gouvernement، 1881.

2- Rinn Louis، Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie، librairie Adolphe Jourdan، imprimeur-libraire-éditeur 4 place du gouvernement، 1891.

المراجع الأجنبية:

1. Ernest Mercier، histoire de l'afrique septentrional (berbérie) depuis les temps les plus reculés jusq'à la conquéte francaise 1830، tone troisieme، paris ernest leroux éditeur 28 rue bonaparte، 1868.
3. _A.Berbrugger، les époques militaires de la grande kabilie، bastide libraire-editeur، paris، 1857.
4. _H.D.DE Grammont، histoire d'alger sour la domination turque (1515-1830)، paris، ernest leroux، editeur 28، rue bonaparte، 1887، pp33،34.
5. _ MOULOUD GAID، les berbers dans l'histoire lutte contre le colonialisme، Tome 3، editions mimouni.
6. _Robin joseph la grand kabylie sous le regime turc presentation et notes de Alain Mahe 1999 p42.
7. _S. A.BOULIFA، le djurdjura a travers l histoire depuis L Antiquite jusqu a 1830 organition et independance des zouaou (grande kabylie) avec une carte

hors texte ALGER J.BRINGAU IMPRIMEUR-Editeur 7 boulevard de France 1925.

البحوث الأكاديمية:

1- بمولة نبيل، القوى المحلية في منطقة القبائل الشرقية في القرن 10هـ/16م بني العباس نموذجا،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر،2009- 2010م

2- بوطبة لخضر ، أسرة أولاد مقران خلال العهد العثماني 1518-1837، مذكرة ماجيستر في تاريخ الجزائر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2005- 2006م

3- رشيدة شدري معمر ، العلماء والسلطة والعثمانية بالجزائر عهد الدايات 1671-1830، رسالة ماجستار، 2005-2006.

4- رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية 1518-1830م، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2017-2018.

5- شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 1519- 1830م رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والإجماعية، 2005 -2006م

6- عمريوي فهيمة، الجيش الإنكشاري بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني القرن 12هـ/18م، دراسة اجتماعية، اقتصادية، من خلال سجلات المحاكم الشرعية، مذكرة لنييل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث جامعة الجزائر، 2008-2009م

7- قاسيمي زيدين ، قيادة سيباو 1132ه/1720م-1247ه/1857م، مذكرة جامعة الجزائر، 2006-2007.

8- كاميليا زغموش، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية، 1509-1792، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2014/2013.

9- لعباسي محمد ، أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط خبر قدوم عروج رايس إلى الجزائر وأخيه خير الدين لمؤلف مجهول من سنة 918ه/1512مإلى سنة 953ه/1546م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2005-2006م.

فهرس المحتويات

-أ-

أبي بكر :، 26، 27.

أحمد أمقران : 25، 74، 78، 79، 80، 81، 82، 83

أحمد بن القاضي : 20، 22، 24، 31، 35، 36، 37، 38، 40، 41 42، 43، 44، 45، 46، 47.

آل القاضي : 08، 11، 19، 20، 27، 29، 30، 31، 35، 38،36، 39، 40، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 50،،48، 51، 55، 61، 62 ، 63.

-ب-

بكتوش: 24، 54، 55، 57، 58، 59.

بني عباس: 08، 10، 19، 22، 23، 24، 27، 28، 29، 30، 31، 45، 48، 50، 51، 61، 62، 63، 68، 69، 74،72،71، 84.

-ح-

الحسن بن القاضي: 47، 48

حسن بن خير الدين: 30، 49، 58، 64، 65، 66، 67، 75، 76، 77، 79، 80، 81.

-خ-

خير الدين: 08، 09، 13، 14، 15، 16، 17، 30، 37 38، 39، 40، 41، 42، 43، 45، 46، 47، 48، 62، 63، 64، 65.

-س-

سليم الأول: 14، 15، 16.

سيدي منصور: 53، 56.

-ش-

شارلكان: 49 ،50

-ص-

صالح رايس: 50، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 74.

-ع-

عبد الرحمان: 24، 27، 28، 29، 30.

عبد العزيز: 24، 25، 26، 27، 28، 31، 51، 63، 64، 66، 67، 70، 71، 73، 74، 77، 78، 79.

بابا عروج: 08، 09، 10، 11، 12، 13، 34، 35، 36، 37، 38، 40، 61، 62.

علج علي: 51، 58، 80، 81.

عمر أولقاضي: 51، 52، 53، 54، 55، 56.

-أ-

إسبانيا: 03، 04، 05، 06، 07، 08، 09، 13، 21، 25، 27، 30،31، 33، 34، 35، 40، 50، 52، 73،74.

الأندلس: 08، 09، 10، 13.

-ب-

بجاية: 06، 10، 11، 12، 21، 25، 26، 27، 31، 33، 35، 50، 75، 78.

-ت-

تلمسان: 02، 04، 07، 10، 36، 37، 65، 66، 67، 69، 71.

تونس: 02، 05، 13، 33، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 51، 57، 63، 65، 67.

-ج-

الجزائر: 12، 13، 14، 15، 16، 17، 19، 33، 35، 36، 37، 38، 40، 41، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 50، 52، 61، 62، 64، 68، 69، 73، 76، 81، 83، 84.

جيجل: 11، 12، 33، 34، 35، 36.

-ع-

الدولة العثمانية: 13، 15، 36، 48، 51، 52، 53، 61، 62، 64، 67، 68، 69، 70، 75، 80.

-ك-

كوكو: 19، 21، 22، 24، 28، 29، 30، 34، 40، 41، 45، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 57، 58، 61، 62، 63، 77، 78، 79.

-م-

المرسى الكبير: 05، 06، 08، 10، 33.

المغرب اسلامي: 02، 03، 04.

المغرب الأوسط: 05، 16، 19، 33.

-و-

وهران: 06، 07، 08، 10، 33.